الإسراء

هدية

مجلة إسلامية شاملة

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:1)

العدد 167 محرم / صفر 1445هـ آب / أيلول 2023م

المشرف العـــام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحـريـر

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

تصميم ومونتاج

يوسف تيسير محمود

هيئة التحـريـر

أ. د. جمال أحمد زيد الكيلاني

أ. د. حسن عبد الرحمن السلوادي

د. صبحي محمد عبيد

د. لؤي عزمي غزاوي

أ. محمد خليل جاد الله

المراسلات: مجلة الإسراء

الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب: 20517 - القدس / ص.ب: 1862 رام الله - تلفاكس: 02 ـ 6262495 / 02 ـ 2348603

موقعنا على الإنترنت: www.darifta.ps للمراسلة على البريد الإلكتروني: israa@darifta.ps

ملحوظة: ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

القدس عاصمة فلسطين الأبدية

فهرس العدد

افتتاحية العدد

نفحات إيمانية على درب النهوض من وحل الهزائم	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

المهـــاجر سلمـــان الفـــارسي يلقن أخـــاه الأنصاري أبا الدرداء درساً في فقه المنهج	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	18

مناسبة العدد

دلالة الهجرة النبوية على مشروعية حب الوطن	الشيخ د. محمد يوسف	29
شخصيات مؤثرة في نجاح الهجرة	أ. شريف مفارجة	35
خصائص مجتمع المدينة	أ. كمال بواطنة	41

زاوية الفتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب	الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديـــــار الفلـسـطينية	48

من هنا وهناك

دور مؤسسات المجتمع المدني ومنظماته في مواجهة التغيرات المناخية	د. حمزة ذيب	54
التصوف في الإسلام	أ. يوسف عدوي	65
تشابه دعوة رسول الله مع غيره من الرسل	أ. لبيب طه	74

أدبيات

انفعالات الرحالة على عتبات المسجد الأقصى المبارك	أ.الشيخ عمار بدوي	80
قصيدة - همسة وفاء	أ. زهدي حنتولي	88
قصيدة - القرارات	أ. يوسف شحادة	89
مضرب الأمثال	أ. هالة عقل	91
اقرأ وتذكر	أ. إيمان تايه	96

نشاطات ... ومسابقات

باقة من نشاطات مكتب المفتي العام ودوائر الإفتاء الفلسطينية في محافظات الوطن	أ. مصطفى أعرج	99
مسابقة العدد 167	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 165	أسرة التحرير	111

افتتاحية العدد

نفحات إيمانية

على درب النهوض من وحل الهزائم

الشيخ محمد حسين/ المشرف العام

مثلما نستذكر الانتصارات السالفة لأمتنا، فإننا نستذكر هزائمنا المتعاقبة، وحق لنا أن نستذكرهما لاستخلاص العبر، والتزود بما يلزم لاستنهاض الهمم، وعقد الأمل على الحاضر والمستقبل دون خلجات الإحباط من الجراح التي تنتابنا، والله عز وجل نبه إلى منهج الاستنهاض هذا في ظروف الرخاء والشدة، ففي أعقاب معركة أحد التي انتهت بجراح انتابت المسلمين من عدوهم، وتلقنوا فيها درساً مهماً في معالم أسباب النصر والهزيمة، لكن الله لم يتركهم ليستسلموا للإحباط، وإنما دعاهم ليعتبروا من حوادث الدهر، فالأيام دول، قد يكون منها يوم لك وآخر عليك، فقال تعالى: {إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}(آل عمران: 140)

فليست العبرة بالنتيجة الواقعة منفردة، وإنما العبر تُستخلص من مجمل النتائج، فجراحنا اليوم تقابلها جراح لأعدائنا أصيبوا بها من قبل، فما الأسباب التي أفضت للنتيجتين؟ مضمون الإجابة جدير بالدراسة والتدبر واستخلاص العبر، وعدونا اللدود عقب الحوادث وبخاصة العسكرية منها يعلن دائما عن توجهه لاستخلاص العبر،

بخلاف الذين يقعون مرة تلو أخرى في الشرك نفسه، والمزالق ذاتها دون أن يكون منهم حذر أو حيطة، والرسول، صلى الله عليه وسلم، يقول: (لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ)(*)

ويروى عن رئيسة وزراء كيان الاحتلال لما تبنت خطة عسكرية في مواجهة العرب عام 1973م مشابهة لخطة عام 1967م وسئلت عن ذلك، فأجابت: العرب لا يقرأون.

وحيث إن هذا المقال معني بنفحات إيمانية للاستنهاض من وحل الهزائم، فسنحاول التركيز على شيء من هذا الجانب، وفق الآتي:

اليقين بحقيقة أن الأمور حسنها وسيئها تجري بأمر الله وتسييره:

حقيقة إيمانية لا مفر لمن يؤمن بالله واليوم الآخر من أن يوقن بها، تلكم المتعلقة بتسيير الأمور في الكون، فالله له ملك السماوات والأرض، وهو القائل سبحانه: {وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(آل عمران: 189) وتعددت الآيات القرآنية التي أكدت هذه الحقيقة، منها قوله تعالى: {...وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(المائدة:17) وقوله سبحانه: {...وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}(المائدة:18)

وقوله تعالى: {لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

(المائدة:120)

ومعنى هذا أن الله هو مالك السماوات والأرض، والقيم بهما، ولو شاء لأفناهما،

* صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.

وهو إشارة إلى الملك التام.[1]

والله تعالى لما أمر بالبراءة من الكفار بين أنه له ملك السماوات والأرض، فإذا كان ناصراً لكم فلن يقدر أحد على إضراركم. ولو صرتم محرومين من معاونة خصومكم ومناصرتهم، فالإله الذي هو المالك للسماوات والأرض والمحيي والمميت ناصركم، فلا يضركم أن ينقطعوا عنكم، وأنه تعالى لما أمر بهذه التكاليف الشاقة كأنه قال: وجب عليكم أن تنقادوا لحكمي وتكليفي، كوني إلهكم، وكونكم عبيداً لي.[2]

فالأمور تجري في السماوات والأرض بإرادته سبحانه، ولا شيء يحدث إلا بقضائه وقدره، وهو القائل جل ذكره: {...وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}(يونس:61) ويقول عز وجل:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}(سبأ:3)

فما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً.

الأحوال تتغير نحو الأفضل أو الأسوأ، فدوام الحال من المحال:

المسلمون كغيرهم من خلق الله يتعرضون لحتمية تقلب الأحوال والظروف، حتى والرسول، صلى الله عليه وسلم، بين ظهرانيهم انتصروا أحياناً، وأصابتهم جراح

1. التفسير الكبير: 31 /110.
2. التفسير الكبير: 16 /169، بتصرف.

أثقلت كواهلهم في لقاءات حاسمة مع أعدائهم أحياناً أخرى، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وزلزلوا من فوقها، ووصف الله حالاً من أحوالهم هذه بقوله جل شأنه: {إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا }(الأحزاب:10)

ويوم الفتح أنعم الله على المسلمين بنصره، وأتم نعمته على نبيه، صلى الله عليه وسلم، ونصره نصراً عزيزاً، وفي هذا يقول تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً* لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً* وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً} (الفتح:1 - 3)

والروم غُلبوا ثم نصرهم الله في بضع سنين من موقعة غلبهم، وعن هذين الحالين المتفاوتين بالنسبة إلى الهزيمة والنصر، يقول عز وجل في فاتحة سورة الروم: {الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (الروم: 1 - 6)

وهكذا الأحوال دواليك، تتقلب وتتبدل، فيها الشتاء القارس، والحر الملتهب، وفيها الربيع والخريف، وفيها الانتصارات والهزائم كذلك، وبالنسبة إلى الإنسان، فإن من أهم ما في أحواله أن تكون له مواقف محترمة لا يتألم من اتخاذها، ولا يأرق من نتائجها، وأفضلها التي تتوج بالعمل لمرضاة الله، والقبول بقدره وقضائه سبحانه، دون كلل ولا ملل ولا انحراف عن الجادة، وحق للرسول، صلى الله عليه وسلم، أن

يعجب من أمر المؤمن لأنه يصبر عند الشدائد، ويشكر الخير والآلاء، فيقول عليه الصلاة والسلام: (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)(*)

الابتلاء بالمصاعب والخيرات للتمحيص:

الابتلاء بالشدائد والمصاعب تعرض له الأنبياء والأصفياء، وغيرهم من خلق الله، فهو لا يدل جزماً على سخط من الله أو غضب أو عقاب، وهو القائل سبحانه:{هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً}(الأحزاب:11)، وقال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}(البقرة: 214) فالمُتَحدث عن ابتلائهم هنا مؤمنون ليسوا كافرين ولا فاسقين، وبين الله الغاية من ابتلاء المؤمنين، وتتلخص بالتمحيص، فقال تعالى: {ما كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ} (آل عمران:179) فالابتلاء يكون في كثير من الأحوال امتحاناً للمبتلى، أيصبر أم يجزع؟ فهو فتنة قد تكون بالخير أو الشر، وهو القائل عز وجل: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}(الأنبياء:35)

ومن غايات الابتلاء العام تمييز الخبيث من الطيب من الناس، وعن هذه الغاية

* صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير.

يقول جل شأنه: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ* لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}(الأنفال:36 - 37) وهذا التمييز تقتضيه الظروف والأحوال في كثير من الأماكن والأزمنة، ويأتي بصور مختلفة ومنوعة، لكن المحصلة واحدة تتلخص في فرز من يتعرضون له، فينجح من يوفقه الله للنجاح، ويخفق من ينتهج غير سبيل الرحمن، فالذي يغره النصر وتخدعه الفتوة والقوة، يقول: أوتيته بقدرتي وعلمي، كما قال قارون عن ثروته وماله، أما الموفق فيقول رب زدني علماً وإيماناً وطاعة وشكراً، وعند الشدائد يصبر ويحتسب دون سآمة ولا ضجر، بخلاف المخفق الذي ينقلب على عقبيه، فيخسر الدنيا والآخرة، كالذين قال الله فيهم: {فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} (التوبة:76 - 77) ويجوز أن يكون المعنى فأعقبهم الله نفاقاً، أو فأعقبهم البخل؛ لأن قوله: {بخلوا} يدل على البخل.(*)

ومن الأحاديث المؤكدة لتعرض نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم ، للابتلاء المقصود من الله تعالى: ما جاء عن عِيَاضِ بن حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم ، قال ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ

* معاني القرآن: 3 /236.

الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ «وَذَكَرَ» الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ، وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ[1])[2]

الأخذ بالأسباب، وربط النتائج بأفعال العباد وما كسبت أيديهم:

حقيقة وقوع الابتلاءات ينبغي أن لا تعمي الأبصار عن المسؤولية التي يتحملها الناس تجاه ما يلحق بهم من مصائب وهزائم وكوارث، فالله تعالى يقول: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}(الشورى:30)

ويرد سبحانه على المتأففين من المصائب التي تحل بهم، منبهاً إلى أنها من حصائد أعمالهم وسوء تدبيرهم، فيقول عز وجل: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم

1. الشنظير الفحاش: أي: السيء الخلق الذي يفحش في كلامه (لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح: 8 /247).
2. صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(آل عمران:165)

ويقول تعالى: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}(النساء:78 - 79)

قيل معناه: وما أصابك من حسنة أيها الإنسان فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، فيكون الخطاب مع كل أحد من الناس، وقيل معناه: {مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ} أي من النصر والظفر فمن فضل الله {وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ} أي من هزيمة وقتل يوم أحد {فَمِنْ نَفْسِكَ} أي بذنب نفسك، من مخالفة النبي، صلى الله عليه وسلم، كما سبق.

فإن قيل: كيف وجه الجمع بين الآيتين، فإنه قد قال - في الآية الأولى - {قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}؟ قيل: معنى الآية الأولى أن الخصب والجدب والنصر والهزيمة { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ... }(النساء:77) فكلها تقع من عند الله.

ومعنى الآية الثانية {وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} أي ما أصابك من سيئة من الله، فبذنب نفسك عقوبة لك.(*)

* تفسير السمعاني: 1 /450 - 451.

العبرة بالنوع لا بالكثرة ولا بالقلة:

يُخدع بعض الناس بكثرتهم أو قوتهم، فيظنون أنهم يكونون بذلك أقوياء، ويصل بعضهم بهذا التصور إلى درجة الغرور، الذي منه ما يقتل، وبعض الناس في أحوال الضعف والخوف يرتعدون، لدرجة السقوط في وحل الرضوخ والخنوع، بحجة أن لا حول لهم ولا قوة، بخلاف المؤمنين الصادقين مع الله وأنفسهم، فإنهم في الحالين أقوياء، يمثلهم الرسول الأسوة، صلى الله عليه وسلم، حين قال لصاحبه قولته المشهورة في رحلة هجرتهما إلى المدينة المنورة، وتضمنتها الآية القرآنية التي أخبرت عن هذه الحادثة، فقال تعالى: {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(التوبة:40)

ومن الحوادث التي عقب على وقوعها القرآن الكريم في هذا السياق، ما جاء في القلة التي صدقت مع الله فصدقها ونصرها، مصداقاً لقوله تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (آل عمران:123) ولما كان العجب بالكثرة ضاقت على المعجبين بها الأرض بما رحبت، وعن هذا يقول جل شأنه:{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ}(التوبة:25)

فالعبرة ليست بالعدد وإنما بالنوع المُؤَيد من صاحب القوة والجبروت، وهو

القائل سبحانه: {إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ}(آل عمران:160) ويقول جل شأنه:{أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ} (الملك:20)

توثيق الصلة بالله واليقين بتحقق وعده بنصر المؤمنين:

إزاء الحقائق الإيمانية والواعية سالفة الذكر، يطلب منا مزيد من الوعي واليقين، وتوثيق الصلة بالله واهب النصر للمؤمنين، وهو القائل جل ذكره: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}(محمد:7) والله يعد الذين يتقوه بالمخرج من كروبهم ومصائبهم وويلاتهم، فيقول عز وجل: {...وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}(الطلاق:2 - 3)

فحتمية انتصار المسلمين وبقائهم حقيقة دامغة لن يعتريها شك، حتى يرث الله الأرض وما عليها، وقد وعد سبحانه المؤمنين بالاستخلاف والتمكين، فقال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}(النور:55)

ونصر المؤمنين وعد قطعه الله على نفسه، فقال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}(الروم:47)

وقال سبحانه: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} (غافر:51)

فمهما اشتد ظلام الليل لا بد للفجر أن يبزغ، ومهما ضاقت الدنيا على المؤمنين بما رحبت، فإن نصر الله آت آت، وهو القائل جل شأنه: {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} (يوسف:110)

ويقول سبحانه: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}(الحج:40)

فهذه وعود ربانية مؤكدة بنصر المؤمنين، وفي الحديث القدسي يقول رب العزة: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)(*) فنصر الله وعد حق من رب السماوات والأرض، وهو القائل جل شأنه: {وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (الروم:6)

* صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع.

وأمة الإسلام لن تهلك في خضم المواجهات الصعبة، وإنما ستبقى طائفة منها منصورة بأمر الله، إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، فعن الْمُغِيرَةِ بن شُعْبَةَ عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (لاَ يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ)[1] وعن مُعَاوِيَةَ يقول: سمعت النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: (لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ)[2]

أهمية تشخيص الحوادث الجارية والبحث عن أسبابها وغاياتها:

الله أمر بالتفكر والتدبر، وأخذ العظات والعبر، ومما يعنيه هذا في مجال الحوادث التي تجري في ساحات الوغى والحروب الباردة والساخنة، العناية بالبحث عن أسباب القوة لتعزيزها، والهزيمة والضعف لتلاشيهما أو تعديلهما، وبغير هذا فإن التخبط سيكون سيد المواقف، والتقهقر سمتها، والتباكي على الأطلال لا يرد أوطاناً مغتصبة، ولا حقوقاً مسلوبة، ولنا في أحوال السالفين عبرة، وفيما مضى من تاريخنا عظات، إن أحسنا التدبر والتحليل ووضع النقاط على الحروف.

وينبغي أن تكون غاياتنا واضحة جلية، رأسها مخافة الله ونيل رضوانه، ومن تفاصيلها رفض الذل والهوان، والامتناع عن بيع الدين والأوطان، مهما بلغت الأثمان أو التضحيات، فسلعة الله غالية، وقدسنا، ومسرى نبينا، صلى الله عليه وسلم، درة تاجها يستحقان البذل.

1. صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» يقاتلون وهم أهل العلم.
2. صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب منه.

حرب دينية:

يختلف الباحثون في تحديد دوافع العداء لنا وللمسلمين في كثير من بقاع الدنيا، فبعضهم يركز على الأطماع، وآخرون على التحالفات والمصالح، وليس ذلك وغيره بعيداً، ولكن الدافع الديني ينبغي استحضاره وأخذه بالاعتبار من قبل كل من يريد وضع اليد على الجرح، سواء تعلق الأمر بحقد على الدين، أم منافسة له، أم رغبة في محوه والقفز عنه، والله يشير إلى غاية أعداء الإسلام هذه، فيقول سبحانه: {...وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ ...}(البقرة:217)

ومن الأساليب الماكرة المستخدمة على هذا الصعيد العدائي للإسلام، استخدام الرفق واللين والنعومة بالألسنة، بينما العداء الصارخ يكمن في القلوب، مصداقاً لقوله عز وجل: {كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ}(التوبة:8)

ومن تلك الأساليب المنتهجة لمحاربة الدين، تلك المشككة به قديماً وحديثاً، بهدف ثني الناس عنه، وقد أخبر الله عن أسلوب ماكر منها، فقال عز وجل: {وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}(آل عمران:72) ففي هذه الآية الكريمة ذكر لأسلوب وغاية، تمثلت الغاية بقوله تعالى على لسانهم: {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} أي يرتدون عن دينهم الإسلام، وتمثل الأسلوب بقوله سبحانه على ألسنتهم: {آمِنُواْ بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ}.

وأمام الحرب التي تشن على الدين وغايات أعداء الإسلام من ورائها، يأبى الله إلا أن يتولى رد الكيد عن دينه، وإبقاء نوره سراجاً منيراً للعالمين، وفي هذا يقول جل شأنه:

{يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (التوبة:32) ويقول تعالى: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}(الصف:8)

فالله نسأل أن يرد الكيد عنا وعن ديننا وبلادنا ومقدساتنا، وأن ينصرنا على أهوائنا وأعدائنا، فقد بلغ السيل الزبى، وطفح الكيل، وتبجح المبطلون والمتغطرسون، وعاثوا في الأرض فساداً وفي المقدسات خراباً، فكانوا من أظلم الظالمين، مصداقاً لقوله عز وجل: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(البقرة:114)

اعتبار أمر مهم عند النظر في الأحوال والأمور:

وفي الختام، يحسن الوقوف عند المطلوب الديني للنهوض من وحل الهزائم حسب الوارد آنفاً وغيره من المتضمن في تفاصيل آيات الذكر الحكيم وسيرة خاتم النبيين محمد، صلى الله عليه وسلم، وسنته، وأخبار السالفين من الأمم والحاضرين، بهدف استخلاص العظات والعبر، مع التنبيه إلى ضرورة وضع الاعتبارات الإيمانية مجتمعة في الحسبان عند النظر في الأحوال والأمور، عسى الله أن يهدينا سواء السبيل، وصراطه المستقيم، ودينه القويم، لنكون من أوليائه الذين ينتصر لهم، ويرفع مقته وغضبه عنهم، ويعادي أعداءهم، إنه سبحانه بالإجابة قدير، وصلى الله على رسولنا محمد، خاتم النبيين والمرسلين، وعلى من تبعه ووالاه بإحسان إلى يوم الدين.

المهاجر سلمان الفارسي يلقن أخاه الأنصاري أبا الدرداء درساً في فقه المنهج

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله / رئيس التحرير

قام الرسول، صلى الله عليه وسلم، بعد الهجرة بأعمال عظيمة ورئيسة، فبنى المسجد، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وأوجد سوقاً للتعامل التجاري، وجيشاً لحفظ الأمن المجتمعي، والذود عن حياض الإسلام، وقد أثنى الله على خطوة الإخاء، التي كانت نموذجاً بشرياً تطبيقياً لأصل تعامل المسلمين بعضهم مع بعض، فهي علاقة تقوم على الأخوة الدينية، التي تتحطم على صخرتها الأنانيات، وحب الذات، ويحل محلهما الإيثار الذي أثنى الله على أصحابه، فقال عز وجل: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (الحشر: 9)

ونود الوقوف في هذا المقام مع قصة معبرة، انطلقت بدايتها من العلاقة الأخوية، التي ربطت مهاجراً بأنصاري، والتي تعد نموذجاً عملياً وواقعياً للإخاء بين المهاجرين والأنصار، الذي كان منه إخاء بين المهاجر سلمان الفارسي والأنصاري أبي الدرداء، ومن الحوادث التي وقعت بين هذين الأخوين تلك الحادثة المهمة المثبتة في صحاح

السنة، والتي بدأت وقائعها بملاحظة لسلمان على امرأة أخيه الأنصاري، حيث وجدها على غير حال النساء، متبذلة بثيابها، فسألها مستغرباً عن حالها هذا، وكان جوابها مرشداً للسبب الكامن وراء وصولها لما هي عليه من حال مستهجن، فما كان من المهاجر سلمان الفارسي إلا أن أدى واجبه الإرشادي لأخيه الأنصاري أبي الدرداء، وانتهت القصة بقاعدة شرعية وفقهية عريضة دالة، لقنها سلمان لأبي الدرداء في فقه المنهج الإسلامي، الذي يقوم على الموازنة بين الحاجات والواجبات، وأداء الحقوق لأصحابها، وتوج هذا الدرس بمصادقة النبي، صلى الله عليه وسلم، على القاعدة المنهجية التي أطلقها سلمان، فقال عليه الصلاة والسلام، بعد سماع نصها وقصتها: (صَدَقَ سَلْمَانُ)، فعن عَوْنِ بن أبي جُحَيْفَةَ عن أبيه، قال: (آخَى النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَدَقَ سَلْمَانُ)(*)

* صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له.

التناصح الأخوي بين المسلمين:

لمّا لاحظ سلمان إشكالاً في بيت أخيه أبي الدرداء، ظهر على حال زوجه بتبذلها في لبسها، انبرى لإبداء استغرابه وإنكاره هذا الحال المتناقض مع الأوضاع السوية، فبادر للتعبير عن موقفه بسؤالها المستنكر عن حالها هذا، منطلقاً من واجب التناصح بين المسلمين في أمورهم العامة والخاصة، عملاً بقول النبي، صلى الله عليه وسلم: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ)[1]

فالعلاقة العامة بين المسلمين تقوم على مبدأ الأخوة، مصداقاً لقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...}(الحجرات: 10)، وبالإخاء الخاص الذي عقد بين المهاجرين والأنصار، تعمقت جذور الأخوة الأصلية بين المؤمنين، وظهرت تداعياتها وثمارها على أرض الواقع، الذي كان من صوره هذا التدخل المشروع للمهاجر سلمان الفارسي في الحالة البيتية والسلوكية لأخيه الأنصاري أبي الدراء، ويدعم مشروعية هذا التدخل كذلك، الأمر العام للمسلمين بتغيير المنكر الذي يلمسونه أو يشاهدونه، تنفيذاً لقول رَسُول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)[2]

فموقف سلمان مؤيد بأدلة شرعية، وتوجيهات جديرة بالاعتبار الدائم، والاهتمام المستمر، خلال علاقات المسلمين مع بعضهم بعضاً، ليتحقق بها الأنموذج المثالي الذي عبر عنه صلى الله عليه وسلم، بقوله: (تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى[3]

1. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة.
2. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص.
3. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.

التمتع بزينة الله والطيبات من الرزق:

أنكر الله المواقف المشددة، أو المجتهدة في المغالاة والتطرف، التي ينبثق عنها تحريم ما أحل الله لعباده من الطيبات، فالمتشدِّد في التحريم في غير محله، كالمتهاون في الإباحة في غير محلها، فقال عز وجل: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (الأعراف: 32)

وحب الزينة المشروعة، فطر الله الناس عليه، فقال تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}(آل عمران:14) ومحاولات إنكار هذا الحب للزينة، تتناقض مع ما فُطِر عليه الناس، مع التأكيد على لزوم التقيد بضوابط الشرع في التعامل معها، من هنا أقر الله الزواج، وشرع الرغبة فيه، والتطلع إليه، فقال جل شأنه: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ}(النساء: 3)

ولما لاحظ سلمان الفارسي توجه امرأة أخيه الأنصاري إلى التبذل في لبسها، لم يرق له ذلك، فسألها مستهجناً عن حالها هذا، المجافي للوضع الطبيعي المعهود في النساء، وواجبهن تجاه أنفسهن وأزواجهن وأسرهن خاصةً، أفصحت له عن السبب الذي دفعها لاتخاذ هذا المنحى غير السوي، والمتعلق في سلوك زوجها ومنهجه، حيث وجدته ينشغل في ليله ونهاره بالعبادة، ولا يكترث بها، تزينت أو تبذلت، فالأمر

يبدو أنه كان عنده سواء، وبالتأكيد أنها وصلت لردة الفعل السلبية هذه، نتيجة إحباط وملل؛ لأن المرأة أو الرجل إن لم يجد أحدهما اهتماماً من الآخر به، فإنه يعاقب نفسه وشريكه أحياناً بمجاراته في الإهمال، وبخاصة أن التقيد بأحكام الشرع يحصر إبداء الزينة الخفية بشريك الزواج أو المحارم، ويمنعها عن الأجانب، الذين قد يتطلعون ويلهثون للبحث عنها، والله تعالى يقول: {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (النور:31)، وفي ضوء هذه المحددات الشرعية، يبقى الحرص على التزين والاهتمام بإبدائه محصوراً في نطاق محدود، فإذا لم يكن في هذا المجال اهتمام بالزينة، تكون في كثير من الأحيان ردات الفعل السلبية غير المريحة، التي تظهر في صورة إهمال التزين، من باب مكره أخوك لا بطل. وهذه الصورة السلبية لما لاحظها سلمان في امرأة أخيه أبي الدرداء أنكرها، وعمل على إصلاحها من منطلق قناعاته الدينية، وفقهه السوي لأمور الدين، والحقوق الواجبة على المسلم تجاه ربه ونفسه ومخالطيه.

سلمان لم يبتدع في الدين، ولم يحدث منهجاً دينياً مخالفاً لمنهج الإسلام الأصيل، وإنما انطلق في إنكاره وإصلاحه في الحادثة التي وقعت في بيت أخيه الأنصاري أبي الدرداء من منطلقات ومبادئ ومستندات شرعية، نعرض نماذج منها دون حصر فيما يأتي:

واجب الأزواج وحقوقهم تجاه بعضهم بعضاً:

يوجه الإسلام الأزواج على وجه الخصوص إلى حفظ حقوق بعضهم بعضاً، فعلى كل من الزوجين واجبات تجاه الآخر، وله حقوق عليه، والله تعالى يقول: {...وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ...} (البقرة: 228)

وليس من العدل والصواب أن يطلب أحد الزوجين حقوقه من الآخر، ويهمل أو يتهاون في أداء واجباته له، فكثيرون يتذمرون من هذه الآفة، التي يخالف بها منهج خيار السلف والخلف الذين يؤدون ما عليهم من واجب بالتوازي، مع انتظار وصول حقوقهم إليهم من أزواجهم، وقد روي عن ابن عباس، قال: إني أحب أن أتزين للمرأة، كما أحب أن تتزين لي المرأة؛ لأن الله تعالى يقول: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} (البقرة: 228)، وما أحب أن أستنظف (استوفي) جميع حقي عليها؛ لأن الله تعالى يقول: {وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ}(البقرة: 228)(*)

صيام داود وصلاته، والنهي عن الوصال في الصوم:

الصلاة والصيام عبادتان لهما الفضل والأهمية في الإسلام، يؤدي المسلم الواجب منهما على وجه الفرض والإلزام، ويتوسع في نوافلهما لتحصيل الرفعة، وحب الله له، بناء على ما جاء في الحديث القدسي، عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي

* ابن أبي شيبة، المصنف، 4 /196.

يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)[1]

وسقف التنفل بالعبادات ليس مفتوحاً على الإطلاق، وإنما محدد بأفضليات، تبعد بالعباد عن إهمال واجباتهم الأخرى في الحياة، وتجاه أنفسهم، وأبدانهم، وعيالهم، وقد وجه الرسول، صلى الله عليه وسلم، إلى سلوك منهج الاعتدال في العبادة، لتؤدى في حدود طاقة العابد وإمكاناته، فعن عَبْد اللَّهِ بن عَمْرٍو، قال: (وَاللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ، فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَالَ: فَإِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ، فَقُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لاَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ)[2]

ونبه الرسول، صلى الله عليه وسلم، إلى بعض الآثار غير المرغوبة التي تلحق بالعابد المبالغ في أداء النوافل، فقال لعَبْد اللَّهِ بن عَمْرِو بن الْعَاصِ، رضي الله عنهما: (إِنَّكَ لَتَصُومُ الدَّهْرَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمَتْ لَهُ العَيْنُ، وَنَفِهَتْ لَهُ النَّفْسُ، لاَ صَامَ مَنْ صَامَ الدَّهْرَ....)[3]

1. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع.
2. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صوم الدهر
3. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صوم داود، عليه السلام.

حتى إن عبد الله بن عمرو بن العاص، ندم لما تأخر به العمر، وضعف جسده، وصار يشق عليه أداء النوافل، حسب ما التزم به، فعنه قال: (كُنْتُ أَصُومُ الدَّهْرَ وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: فَإِمَّا ذُكِرْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِمَّا أَرْسَلَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ لِي: أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، يَا نَبِيَّ اللهِ، وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ، قَالَ: فَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا قَالَ: فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ نَبِيِّ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ، قَالَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَمَا صَوْمُ دَاوُدَ؟ قَالَ: كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا. قَالَ: وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، قَالَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ، قَالَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ، قَالَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ، وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا قَالَ: فَشَدَّدْتُ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ. قَالَ: وَقَالَ لِي النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمْرٌ، قَالَ: فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لِي النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَبِرْتُ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قَبِلْتُ رُخْصَةَ نَبِيِّ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)(*)

وفي هذا السياق بين الرسول، صلى الله عليه وسلم، الغاية المفضل تجنب تجاوزها في النوافل، من خلال مدحه صلاة داود، عليه السلام، وصيامه، فقال صلى

* صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق.

الله عليه وسلم: (أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلاَةِ إِلَى اللَّهِ صَلاَةُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ)[1]

وفي هذا السياق أيضاً يأتي النهي عن الوصال في الصوم، فعن أَنَسٍ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (لاَ تُوَاصِلُوا، قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ، إِنِّي أُطْعَمُ، وَأُسْقَى، أَوْ إِنِّي أَبِيتُ أُطْعَمُ وَأُسْقَى)[2]

تأكيد النهي عن المغالاة:

من المنطلقات والمبادئ والمستندات الشرعية المساندة لفقه سلمان الفارسي في إنكاره وإصلاحه في الحادثة التي وقعت في بيت أخيه الأنصاري أبي الدرداء، حديث الثَّلَاثَةِ رَهْطٍ، الذين جاءوا إلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النبي، صلى الله عليه وسلم، (يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النبي، صلى الله عليه وسلم، فلما أُخْبِرُوا، كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ من النبي، صلى الله عليه وسلم؟ قد غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ، وما تَأَخَّرَ، قال أَحَدُهُمْ: أَمَّا أنا، فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وقال آخَرُ: أنا أَصُومُ الدَّهْرَ ولا أُفْطِرُ، وقال آخَرُ: أنا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، إليهم فقال: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)[3]

فالرسول، عليه الصلاة والسلام، رفض المبالغة في العبادة، مؤكداً مخالفتها لمنهجه وعمله وديدنه.

1. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود...
2. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الوصال، ومن قال: ليس في الليل صيام.
3. صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح.

سددوا وقاربوا:

بشكل عام؛ يدعو الإسلام إلى التسديد والمقاربة، دون إفراط ولا تفريط، فعن عَائِشَةَ، رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ)[1]

جاء في عمدة القاري، أن قوله: (سَدِّدُوا) من التسديد، وهو التوفيق للصواب، وهو السداد والقصد من القول والعمل، ورجل مسدد إذا كان يعمل بالصواب والقصد، ويقال: معنى سددوا الزموا السداد، أي الصواب من غير تفريط ولا إفراط. وقوله: (وَقَارِبُوا)؛ أي لا تبلغوا النهاية، بل تقربوا منها، يقال: رجل مقارِب بكسر الراء، وسط بين الطرفين.

وقال التيمي: قاربوا إما أن يكون معناه قاربوا في العبادة، ولا تباعدوا فيها، فإنكم إن باعدتم في ذلك، لم تبلغوه. وإما أن يكون معناه ساعدوا، يقال: قاربت فلاناً إذا ساعدته، أي ليساعد بعضكم بعضاً في الأمور، ويقال معناه: إن لم تستطيعوا الأخذ بالكل، فاعملوا ما يقرب منه.

فالنبي، عليه الصلاة والسلام، نهى عن الغلو، وأمر بالقصد، وهو الصواب، وشيء مقارِب بكسر الراء، أي وسط بين الجيد والرديء، ولا يقال مقارَب يعني بالفتح، وكذلك إذا كان رخيصاً.[2]

---

1. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل.
2. عمدة القاري، 1 /237.

فهذه عينة من مساندات فقه المهاجر سلمان الفارسي، رضي الله عنه، في أمور الدين والدنيا، استحق بها نيل تصديق الرسول، صلى الله عليه وسلم، لما عرض الأمر عليه برمته وتفاصليه، فقال عليه الصلاة والسلام: (صَدَقَ سَلْمَانُ) ليرسي بذلك منهجاً قويماً في الاعتدال، ونبذ المغالاة والتطرف في المناهج والسلوك، توافقاً مع وسطية أمة الإسلام، التي قررها الله في قرآنه الكريم، فقال عز وجل: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً...}(البقرة:143)، فنعم الدرس الذي لقن به الصحابي الجليل المهاجر سلمان الفارسي أخاه الأنصاري أبا الدرداء، وصار للمسلمين من بعدهما منهجاً قويماً في فقه الدين، والعمل بالصراط المستقيم، باعتدال نقي من شوائب الإفراط والتفريط.

وخلاصة درس سلمان، أوجزت حقيقة هذا المنهج العدل بكلمات: إن لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فرضي الله عن سلمان وأبي الدرداء وزوجه، وعن الصحابة الكرام، الذين فقهوا الدين، ونقلوه للناس من بعدهم نقياً واضحاً، كما تلقوه من رسولنا الأكرم، صلى الله عليه وسلم.

دلالة الهجرة النبوية على مشروعية حب الوطن

الشيخ د. محمد يوسف / مفتي محافظة سلفيت

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، وعلى آله الطيبين، وأصحابه المجتبين، وبعد؛

فإنَّ هجرة سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، حدث مركزي في تاريخ الدعوة الإسلامية، وفي التاريخ البشري عامةً؛ لأنها كانت بداية تحول الدعوة الإسلامية إلى كيان سياسي، ما لبث أن امتدَّ إلى معظم العالم المعروف في مدة زمانية وجيزة، وعند استذكار هذه الهجرة المباركة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، يتبادر إلى الأذهان موقف الإسلام من حب الأوطان، والتعلق القلبي بها، وواجب المسلم تجاهها بالعمارة، وإصلاح شؤونها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

تفضيل بعض الأماكن على بعض:

من حقائق القرآن الكريم أنَّ الله تعالى فضَّل بعض الخلق على بعض، فبعض الأشخاص أفضل من بعض، وبعض الأماكن أفضل من بعض، فمن تفضيل الأشخاص قوله تعالى: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} (البقرة:253)، جاء في تفسير التحرير والتنوير: (وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ تَمْجِيدُ سُمْعَةِ الرُّسُلِ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَتَعْلِيمُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ هَاتِهِ الْفِئَةَ الطَّيِّبَةَ مَعَ عَظِيمِ شَأْنِهَا قَدْ فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَأَسْبَابُ التَّفْضِيلِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، غَيْرَ أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى مَا جَرَى عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنَ

الْخَيْرَاتِ الْمُصْلِحَةِ لِلْبَشَرِ وَمِنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَمَا لَقُوهُ مِنَ الْأَذَى فِي سَبِيلِ ذَلِكَ).[1]

ويؤكد ذلك ما أخرجه ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، أنَّ سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ، وَلَا فَخْرَ، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ).[2]

ومن تفضيل بعض الأماكن والبلدان ما أخرجه الترمذي، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ حَمْرَاءَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاقِفًا عَلَى الحَزْوَرَةِ، فَقَالَ: (وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ).[3]

فمكة أحبُّ أرض الله إلى الله، هذا تفضيل من الله لها، فقد جعل فيها بيته الحرام، أول بيت وضع لعبادة الله تعالى، فلذا كانت أحب البلاد إليه، صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى أنها بلده، صلى الله عليه وسلم، التي ولد فيها، وترعرع في أنحائها.

حب الوطن مسألة فطرية:

حب الإنسان لوطنه الذي نشأ فيه مسألة فطرية؛ أي أنها تلازم الإنسان بوصفه إنساناً في الأزمان كلها، وفي الأوطان جميعها، على الرغم مما في الزمن من تغيرات جعلت البعيد قريباً، والنائي في متناول البصر والسمع عبر الاختراعات التكنولوجية الكثيرة، ورغم اختلاف البلدان في ظروفها الطبيعية، وأوضاعها الاقتصادية، وأنظمتها السياسية، فكل ذلك ظروف تصعب أمور الحياة، ولكنها لا تنزع من الإنسان حبه للوطن الذي ألفه في سنين صغره وصباه، ومن أجمل من عبر عن هذا المعنى الشاعر

1. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، 3 / 6، الدار التونسية للنشر – تونس 1984 م.
2. سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، وصححه الألباني.
3. سنن الترمذي، كتاب المناقب، بَابٌ فِي فَضْلِ مَكَّةَ، وصححه الألباني.

ابن الرومي بقوله(*):

وَلي وَطَـــنٌ آلَيْتُ أَلاَّ أَبِيعَـهُ ... وَأَلاَّ أَرَى غَيْرِي لَهُ الدَّهْرَ مَالِكا
عَهِدتُ به شرخَ الشبابِ ونعمةً ... كنِعْمَةِ قومٍ أصبحـوا في ظِلالكا
فقد أَلِفَـتْهُ النفسُ حتَّى كأنه ... لها جسدٌ إنْ بانَ غودِرْتُ هالكا
وحبَّبَ أوطانَ الرجــالِ إليهمُ ... مآربُ قضَّاها الشــبابُ هنالكا
إذا ذَكَـروا أوطانَهُم ذكَّرَتْهمُ ... عُهودَ الصِّبا فيها فحنّوا لذلكا

ربما كان سبب التعلق بالوطن ارتباط سني الطفولة، والصبا به، حيث البراءة الأصلية، والأحلام الوردية، وهي التي عبر عنها ابن الرومي بتلك الأبيات العذبة، وفي الحالات جميعها، فحب الإنسان لوطنه يدفعه لابتكار الوسائل الضرورية كلها، للتأقلم مع ظروف الوطن المناخية والاقتصادية، ولقد واجه المهاجرون من أصحاب سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، صعوبات جمة في التأقلم مع بيئة المدينة المنورة، فمرض عدد منهم في بداية الهجرة، فعن أم المؤمنين، عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المَدِينَةَ، وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلاَلٌ، قَالَتْ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ وَيَا بِلاَلُ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَتْ: فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ ... وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلاَلٌ إِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ الحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ وَيَقُولُ:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

* ابن الرومي، علي بن العباس، ديوان ابن الرومي، 3 / 14، شرح الديوان: أحمد حسن بسج، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت- 2002م.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ»[1].

وجاء في عمدة القاري في شرح صحيح البخاري: " (وعك): أي مرض. (مصبَح) بِفَتْح الْبَاء الْمُوَحدَة، أَي: مصاب بِالْمَوْتِ صباحاً، وَقيل: المُرَاد يُقَال لَهُ: صبحك الله بِالْخَيرِ، وَقد يفجؤه الْمَوْت فِي بَقِيَّة النَّهَار. قَوْله: (أدنى) أَي: أقرب، قَوْله: (إِذا أقلع) أَي: الْكَفّ وَزَالَ، قَوْله: (عَقِيرته) الصَّوْت بالبكاء أَو بِالْغنَاءِ. قَوْله: (بواد) أَي: بوادي مَكَّة، قَوْله: (وجليل) بِالْجِيم، وَهُوَ نبت ضَعِيف يحشى بِهِ خصاص الْبيُوت. قَوْله: (مَجَنَة) اسْم مَوضِع على أَمْيَال من مَكَّة، وَكَانَ بِهِ سوق فِي الْجَاهِلِيَّة. قَوْله: (وَهل يبدون) أَي: وَهل يظهرن، قَوْله: (شامة) (وطَفِيل) جبلان بِقرب مَكَّة. وَقَالَ الْخطابِيّ، كنت أَحسب أَنَّهُمَا جبلان حَتَّى ثَبت عِنْدِي أَنَّهُمَا عينان، (بِالْجُحْفَةِ) على سبع مراحل من الْمَدِينَة، وَبَينه وَبَين الْبَحْر ستَّة أَمْيَال، وَهُوَ ميقَات أهل مصر الْآن، وَأما فِي ذَلِك الْوَقْت فَكَانَ مسكن الْيَهُود"[2]. ويقول الشيخ عبد الحليم توميات في شرح الحديث: "قوله: (حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ، أَوْ أَشَدَّ)، كما سأل النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، المضاعفة في البركة، سأل المضاعفة في حبّ المدينة؛ لأنّه صلّى الله عليه وسلّم، ترك مكّة لله تعالى، وهو محبّ لها، فهو يسأله أن يُبدله حبّا أعظم من حبّه لمكّة".[3]

فهذا الحديث النبوي الشريف، نص واضح في حب الرسول، صلى الله عليه وسلم، لمكة، ودعوة صادقة منه، صلى الله عليه وسلم، أن يُحَبِّبَه الله في المدينة بمقدار ما يُحب مكة أو أشد، وهذه إشارة إلى أهمية عاطفة المحبة للبيئة المكانية في تحقيق

1. صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه المدينة.
2. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 17/61، بتصرف.
3. انظر الرابط الإلكتروني: http://nebrasselhaq.com/index.php?option=com_content&view=article&id=36250-&catid=14:2010-06-04-11-47-53.

الاستقرار العاطفي، والهدوء الوجداني، ودور ذلك في انسجام المؤمن إيمانياً، وأثره في استقراره النفسي، حتى يتسنى له القيام بوظيفته الأساسية، وهي عبادة الله تعالى.

وفي ذات السياق أخرج البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى نَهْمَتَهُ، فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ».[1]

يقول بدر الدين العيني في شرح هذا الحديث الشريف: " قَوْله: (فَإِذا قضى نهمته)، بِفَتْح النُّون وَسُكُون الْهَاء أَي: حَاجته" . ثم يقول"...وَمِمَّا يُسْتَفَاد من الحَدِيث: كَرَاهَة التغرب عَن الْأَهْل بِغَيْر حَاجَة، واستحباب استعجال الرُّجُوع، وَلَا سِيمَا من يخْشَى عَلَيْهِم الضَّيْعَة بالغيبة، وَلما فِي الْإِقَامَة فِي الْأَهْل من الرَّاحَة الْمعينَة على صَلَاح الدّين وَالدُّنْيَا، وَلما فِيهَا من تَحْصِيل الْجَمَاعَات وَالْجمعَات وَالْقُوَّة على الْعِبَادَات. وَالْعرب تُشَبِّهُ الرجل فِي أَهله بالأمير".[2]

وجه قرن قتل النفس والخروج من الديار:

يقول تعالى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا}.(النساء: 66)

قرن الله في الآية الكريمة بين فعل قتل النفس، والخروج من الديار، والجامع بينهما شدة الأمر على النفس، وصعوبة الامتثال لذلك، وهذا يؤكد مدى الارتباط الوثيق بين الإنسان، ومكان سكنه، وموطن معيشته، يقول الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة: "اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مُتَّصِلَةٌ بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَمْرِ الْمُنَافِقِينَ، وَتَرْغِيبِهِمْ فِي الْإِخْلَاصِ، وَتَرْكِ النِّفَاقِ، وَالْمَعْنَى أَنَّا لَوْ شَدَّدْنَا التَّكْلِيفَ عَلَى النَّاسِ، نَحْوَ أَنْ

1. صحيح البخاري، كتاب العمرة، بَاب السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ.
2. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 10 / 138.

نَأْمُرَهُمْ بِالْقَتْلِ، وَالْخُرُوجِ عَنِ الْأَوْطَانِ، لَصَعُبَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَلَمَا فَعَلَهُ إِلَّا الْأَقَلُّونَ، وَحِينَئِذٍ يَظْهَرُ كُفْرُهُمْ وَعِنَادُهُمْ، فَلَمَّا لَمْ نَفْعَلْ ذَلِكَ رَحْمَةً مِنَّا عَلَى عِبَادِنَا، بَلِ اكْتَفَيْنَا بِتَكْلِيفِهِمْ فِي الْأُمُورِ السَّهْلَةِ، فَلْيَقْبَلُوهَا بِالْإِخْلَاصِ وَلْيَتْرُكُوا التَّمَرُّدَ وَالْعِنَادَ حَتَّى يَنَالُوا خَيْرَ الدارين".(*)

فهذه الآية الكريمة، تبين شدة الترابط بين الإنسان وبيئته الاجتماعية، التي عبر عنها بالديار، حيث كان قطع تلك الروابط بالخروج من الديار، مقارناً لقطع الحياة بقتل النفس، بجامع شدة ذلك على النفس، ونفورها منه.

خاتمة وخلاصة:

يتبين مما سبق أنَّ الإسلام، وهو دين الفطرة والعدل، لا ينكر على الإنسان ما جبل عليه من تعلق قلبي بموطنه، ومهد ولادته، ولقد كان تعلق سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه بمكة تعلقاً عظيماً؛ لأنها موطنهم، ولأنها تضم الحرم، وفي القلب منه الكعبة المشرفة، أول بيت وضع في الأرض لعبادة الله وحده، فهي مشرفة معظمة عند الله تعالى، وعند من يؤمن بالله عزَّ وجلَّ، فالهجرة منها أمر صعب، ومؤلم للنفس، ولكن إقامة شرع الله، وتبليغ الدين، والصدوع بأمر الله أولى وأوجب، ونحن في هذا المجال في فلسطين قلب بلاد الشام، وحاضنة المسجد الأقصى المبارك، فهي مباركة ومحبوبة، فالتعلق بها وحبها، والدفاع عنها أمر مشروع، بل واجب ومحتم.

* الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، 10 /129.

شخصيات مؤثرة في نجاح الهجرة

شريف مفارجة / باحث شرعي/ دار الإفتاء الفلسطينية

يهلُّ علينا شهر الله المحرم، الذي يذكرنا بأعظم الذكريات، وأكثرها أثراً في التاريخ، ألا وهي الهجرة النبوية، التي كانت حجر الأساس في بداية الإسلام والهدى، وثبات الحق وأعوانه، وزوال الباطل وأتباعه، فكانت هجرة من بيئة الظلم والعدوان، ومجاورة أهل المعاصي والمنكرات، إلى بيئة الصلاح والاستقرار، وفعل الخيرات والطاعات، وكانت بمثابة درس للناس حتى يتعلموا أن من يريد الرفعة، وتحقيق الأهداف النبيلة، ونشر الدعوة إلى الله تعالى، لا بدَّ له من بذل التضحيات في سبيل ذلك، فالمعالي لا تنال بالأماني، وأيضاً لا بدَّ له من الإخلاص لله وحده، ونظراً لأهمية إخلاص النية في الأعمال حتى تقبل، وخاصة منها الهجرة، فقد بدأ الإمام البخاري تصنيف الأحاديث وتبويبها في كتابه بحديث: إنما الأعمال بالنيات، قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)(*)

والصحابة في الهجرة قدموا أروع صور معاني الثبات، والإيمان، والفداء،

* صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والتضحية، وبذلوا الغالي والنفيس لنصرة الدين، فلم تشغلهم أموالهم، ولا أعمالهم، ولا زوجاتهم، ولا أولادهم، ولا أوطانهم، ولا أقاربهم، ولا خلانهم، ولا مضايقات قريش لهم، عن العمل في سبيل الله، ورفع راية الحق، والتوحيد على هذه البسيطة، وقد نظم الشيخ يوسف القرضاوي، رحمه الله، شعراً عن نصرة الصحابة لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومما قاله في ذلك:

يا سـيد الرُّسْلِ طب نفسًا بطائفة ... باعوا إلى الله أرواحًا وأبدانا

قادوا السفين فما ضلوا ولا وقفوا ... وكيف لا وقد اختاروك ربَّانا؟!

أعطوا ضريبتهم للدين من دمهم ... والناس تزعم نصر الدين مجانا

أعطوا ضريبتهم صبرًا على محن ... صاغت بلالاً وعمارًا وسـلمانا

عاشوا على الحب أفواهًا وأفئدةً ... باتوا على البؤس والنعماء إخوانا

الله يعرفهم أنصار دعـوته ... والنـاس تعرفهم للخير أعـوانا

والليل يعرفهم عُبَّاد هجعته ... والحرب تعرفهم في الروع فرسانا(*)

بعض الصحابة الأبطال الذين لهم دور في نجاح الهجرة:

من الصحابة الذين كان لهم تأثيرٌ في نجاح الهجرة النبوية:

1 - **علي بن أبي طالب، رضي الله عنه**: الشاب الفتي، ابن عم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو أوّل من أسلم من الصبيان، ووقف مع النبي، صلى الله عليه وسلم، في الظروف الصعبة كلها، وتحمل أذى قريش وحصارهم وهو مع النبي،

* بوابة الشعراء: https://poetsgate.com/poem.php?pm.

صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين، وقاتل قتال الأبطال في الحروب، وشهد الغزوات كلها، إلا غزوة تبوك بأمر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، للبقاء في المدينة حتى يخلفه بالمقام فيها[1].

2 - **أبو بكر الصديق، وأولاده، رضي الله عنهم:** كان لهذه العائلة الكريمة الأثر الكبير في نجاح الهجرة بعد توفيق الله تعالى، فأبو بكر الصديق، أول من لازم النبي، صلى الله عليه وسلم، من الصحابة، وصدقه، ونصره في دعوته، واختاره رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، لرفقته في هجرته، فكان خير من اختار، وخير من ضحى لأجل الدين، وصبر وتحمل وهو راضٍ، كان همه وقلقه فقط سلامة النبي، عليه الصلاة والسلام، من أي أذى، والخوف على حياته، خاصة عندما وصل الكفار إلى غار ثور، فكان لا يطمئن، ولا يهدأ له بال حتى يسمع من الله ورسوله ما يطمئنه[2] قال الله تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (التوبة: 40)

وأسماء بنت أبي بكر، رضي الله عنهما، أسلمت في عمر الرابعة عشرة، وكان لها دور مهم في نجاح الهجرة، حيث كانت تقطع المسافات الطويلة في الظلام؛ لتأتي بالماء والطعام للنبي، صلى الله عليه وسلم، ووالدها، رضي الله عنه، وهما في الغار، على

1. سيد المرسلين، الشيخ جعفر السبحاني، قسم سيرة الرسول وآله، 2 /557 - 559.
2. الأصبهاني، دلائل النبوة، 1 /328.

الرغم من صغر سنها، وسمِّيت بـ "ذات النطاقين"؛ لأنها عندما لم تجد شيئاً تعلق به الطعام في رحل البعير خلال هجرة المصطفى، صلى الله عليه وسلم، وصاحبه، شقَّت نطاقها نصفين، وربطت الطعام بواحد، وانتطقت بالآخر، فقد بذلت ما في وسعها في تقديم العون لنصرة الدين[1]، وضحت بنفسها على الرغم من المخاوف التي كانت تحيط بها في أثناء خروجها.

وعبد الله بن أبي بكر، رضي الله عنهما، كان له دور مهم في تأمين الهجرة عن طريق استطلاع أخبار قريش وزعمائها، وما يدبرون من مؤامرات للنيل من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ووالده أبي بكر، رضي الله عنه، ونقلها لهما حتى يحتاطا من كل أذى، أو مكر يحاك ضدهما، حتى يصلا المدينة بأمان[2].

وكذلك الصحابي عامر بن فهيرة، رضي الله عنه، كان يرعى الغنم، ويأتي بالحليب للنبي، صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، رضي الله عنه، وكان بالأغنام يخفي آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر من المشي على الرمال عند عودته من غار ثور، حتى لا يصل الكفار إلى الغار.[3]

3 - **مصعب بن عمير، رضي الله عنه:** له دور عظيم في نشر الإسلام ونصرته، فهو شاب ترك حياة النعيم والترف والراحة والغنى في سبيل الدين، فكان من الذين

1. القرطبي، جوامع السيرة النبوية، ص: 70.
2. المباركفوري، الرحيق المختوم، ص: 120.
3. ابن هشام، السيرة النبوية، 1 /486.

هاجروا إلى الحبشة[1]، وأول من هاجر إلى المدينة، حيث بعثه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة ليدعو الناس إلى الإسلام، ويعلمهم القرآن، ويفقههم في الدين، وقد أسلم على يديه سيد الأنصار سعد بن معاذ، وغيره من كبار الصحابة، ومصعب من الذين شهدوا بدرًا، واستُشهد في معركة أحد، وكان في فقر مدقع، حتى لم يجد الناس ما يكفنوه به بعد موته إلا خميصة، إذا غطوا بها رأسه، بدت رجلاه، وإذا غطوا بها رجليه بدا رأسه.[2]

4 - **صهيب الرومي، رضي الله عنه:** من الذين ضربوا أروع الأمثلة التي لا تُنسى على مر التاريخ في التضحية للدين، والتخلي عن أعظم المحبوبات للنفس، وهو المال في سبيل الله، فعندما علم المشركون بنيته الخروج والهجرة منعوه، وعايروه أنه جاء فقيراً إليهم، وصار غنياً يملك المال الكثير من العمل في التجارة، فعرض عليهم ماله، مقابل السماح له بالهجرة، فقبلوا ذلك وهاجر.[3]

5 - **أبو سلمة بن عبد الأسد، رضي الله عنه:** هو ابن عمة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هاجر إلى المدينة، على الرغم من أن أهله وأصهاره فرقوا بينه وبين أسرته، ففرقوه عن زوجته وابنه، وفرقوا زوجته عن ابنه بعد أن تجاذبوا الطفل حتى خلعوا يده، فمكثت زوجته سنة كاملة، كانت تخرج كل غداة بالأبطح تبكي حتى تمسي، حتى

1. ابن إسحاق، السير والمغازي، ص: 176.
2. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: 4 /1473.
3. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، صفة الصفوة: 1 /162.

فرج الله تعالى عنها، والتم شمل العائلة مرة أخرى.(*)

والمقام هنا لا يتسع لذكر مزيد من تضحيات الصحابة في الهجرة، فكلهم ساهموا في نصرة الدين، وإنجاز الهجرة على خير وجه، وحرصوا على تجنب وقوع أي خطر، أو أذى يلحق بالنبي، صلى الله عليه وسلم، ومن معه من الصحابة، فكل واحد من المهاجرين كانت له قصة فداء في سبيل الله، وتضحية خالصة لوجه الله، قال تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (الحشر:8)، فنسأل الله تعالى أن يوفقنا لنصرة الدين ولا يستبدلنا، وأن نقتدي بالصحابة الكرام، رضي الله عنهم، في الصدق، والبذل، والعطاء، والفداء، والتضحية، والإخلاص للدين، حتى نحقق في الدنيا أهدافنا وأمنياتنا بالنصر، والتحرير، والعيش بكرامة واستقرار في الدنيا، وفي الآخرة الفوز بالجنة، وحبذا إن كانت الفردوس، ورضوان الله تعالى، فكل تضحية صادقة لا تذهب سدى، سينتفع صاحبها بها في الدارين.

* ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة: 7 /329.

خصائص مجتمع المدينة

أ. كمال بواطنة / مدير دائرة الكتب التربوية سابقاً

يعدّ المجتمع الذي أنشأه النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، في المدينة المنوّرة الأنموذج الأمثل الذي يحتذى، وإنشاء مجتمع إسلامي، لا يقوم على الأسس التي اعتمدها النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، سيكون عرضة للفشل، والفوضى، والتمزّق، ونبيّنا، صلّى الله عليه وسلّم، اتّخذ خطوات تمهيديّة قبل الهجرة، فكانت بيعتا العقبة الأولى والثانية، وكان إرسال السفير مصعب، رضي الله عنه، فأصبح مجتمع المدينة مهيّأ لاستقبال المهاجرين.

هناك خصائص أساسيّة لا بدّ من التوقّف عندها، قام بها النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، لبناء مجتمع المدينة، وتحقيق المجتمع الفاضل، نذكر أهمّها:

بناء المجتمع وتماسكه:

معروف أنّ مجتمع المدينة كان متنوّعاً، فهناك قبيلتا الأوس والخزرج، وكانت بينهما حروب وفتن، وكان اليهود يغذّون هذه الفتن، وكانوا الرابحين من ذلك، وكان في المدينة المهاجرون، وهم الوافدون الجدد، الذين تركوا ديارهم وأموالهم،

وهاجروا في سبيل الله، وهناك ثلاث قبائل يهوديّة: بنو النضير، وبنو قينقاع، وبنو قريظة، وكان في المدينة منافقون ومشركون، وكان لا بدّ من التوفيق بين هذا الخليط، فكان الإصلاح بين الأوس والخزرج، وإعطاؤهم اسماً جديداً، سمّاهم الله سبحانه به، وهو(الأنصار)، وكان لا بدّ من إعداد وثيقة مواطنة يتوافق عليها الجميع، فوضعت وثيقة المدينة؛ لتحدّد العلاقات بين أطياف المجتمع في السلم والحرب.

ولتقوية العلاقات بين المسلمين كانت المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين، فظهر من الأنصار على رقّة حالهم الإيثار، وظهر من المهاجرين على رقّة حالهم أيضاً التعفّف، وما مضت مدّة قصيرة حتّى مارس المهاجرون أعمال التجارة وغيرها، فأصبحوا طاقات منتجة.

ولقد كثرت النصوص من القرآن والسنة التي تحثّ المؤمنين في المدينة على التماسك والتعاضد، فالمجتمع المسلم في نظر الإسلام كالبنيان المرصوص، يشدّ بعضه بعضاً، وهو متعاطف ومتراحم، إذا شكا بعضه شكا كلّه، ولا يتصوّر أن يبيت فيه امرؤ جائع، وهذا ممّا زاد اللحمة.

بناء المسجد:

لقد قامت فلسفة الحضارة الإسلامية في العمران على بناء المسجد، وحواليه البيوت، وبعد ذلك بني السوق، والمسجد كان له رسالة كبيرة، فبالإضافة إلى أنّه

كان دار العبادة، فقد كان مكان التعليم، ومكان عقد الاجتماعات واستقبال الوفود، ومكان القضاء، وفيه وزارة الدفاع، إن جاز التعبير، ففيه تجيّش الجيوش، وتعقد الرايات، ويعيّن القادة ...

وستبقى الأمّة بخير ما عمرت مساجدها بناء وعبادة، ومع أنّ الناس كثروا، وبنيت المدارس ودور القضاء ووزارات الدفاع... إلا أنّ المسجد يبقى مكان التطهّر والتطهير، وهو مثل القلب، تأتيه الدماء من أجزاء الجسم جميعها، فينقيها، ثمّ يعيدها {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}(التوبة:108)، ومن المساجد يخرج الأتقياء الأنقياء، الذين يبنون ولا يهدمون، ويصلحون ولا يفسدون.

مركزية العلم:

الأمم الواعية تستثمر في العلم، الذي مردوده كبير، والإسلام دين ينسجم مع العلم، ولا تنافر بينهما، ومفاتيح الوحيّ حثّت على العلم، ولك أن تقرأ أول ست آيات من سورة العلق، وهي أول ما نزل من القرآن الحكيم، حثّت على القراءة مرّتين، وكأنّها تنبّه إلى نوعي القراءة: القراءة في الكتاب المنظور، وهو الكون، والقراءة في الكتاب المسطور، وهو القرآن الكريم، وذكرت مادّة العلم ثلاث مرّات، ولك أن تنظر في سورة (القلم)، التي نزلت بعدها، وفيها قسم بالقلم أداة العلم، وبعد ذلك نزلت سورة (المزمّل)، التي تدعو إلى تهذيب النفس، ثمّ نزلت سورة المدّثر، وهي تحث

على الدعوة إلى الله، وبهذا يظهر أنّ الأساس الأوّل في بناء الأمّة العلم، وهو الذي يؤسّس لما بعده، وقد مجّد الإسلام العلم وأهله في نصوص كثيرة، رأينا البشرية عندما ظهرت الأمراض الفتّاكة المعدية كيف كانت أنظارها متجهة نحو العلماء.

النبيّ، صلّى الله عليه وسّلم، جعل فداء أسرى بدر من المشركين غير المقتدرين أن يعلّم الواحد عشرة من أطفال المسلمين القراءة والكتابة، وكان ممّن تعلّم على أيديهم زيد بن ثابت، رضي الله عنه، الذي أمره النبيّ، صلّى الله عليه وسّلم، أن يتعلّم لغة اليهود؛ لأنّه لا يأمن مكرهم، وقد كان من العلماء العارفين، ومن كُتّاب الوحي، وأوكلت إليه مهمّة جمع القرآن الكريم.

محوريّة الإنسان:

اليوم يُرفع شعار (الإنسان أغلى ما نملك)، وحقيقة الأمر أنّه لا تقوم حضارة دون الإنسان. الإسلام عني بالإنسان، ولا أدلّ على ذلك من أنّه بنى إنساناً متصالحاً مع نفسه، ونزع منه الكراهية والحقد، حيث يكون طاهر الظاهر والباطن، وفي الصلاة نجد الناس متكاتفين الكتف مع الكتف، وفي الزكاة حنو من الغنيّ على الفقير، ونزع الضغينة من قلب الفقير تجاه الغنيّ، وأوجد الإسلام في المسلم يقظة الضمير، حيث يكون شرطيه إيمانه، فلا تخاصم، ولا شكاوى، ولا محاكم...، ووجدناه، صلّى الله عليه وسّلم، يكرم النفس الإنسانية دون النظر إلى معتقدها، فيقف احتراماً عند مرور جنازة يهوديّ.

منظومة القيم:

انتصار الإسلام كان انتصاراً أخلاقياً، وبالأخلاق ترتفع الأمم، وترفع ألوية الحقّ والعدل والمساواة والكفاءة والخيرية، ولعلّ سورة العصر- على قصرها- تضع معالم الفلاح، والتي تتلخّص بالإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحقّ، وما يستتبعه من تواصٍ بالصبر.

في مجتمع المدينة المسلم لا أحد فوق القانون، ولا شفاعة في حدّ، وما يُعلي المرء عمله، ولا يغفر له تقصيره، ولو كان شديد القرابة بالنبيّ، صلّى الله عليه وسّلم، وفيه انخرط بلال الحبشيّ مع صهيب الرومي مع سلمان الفارسيّ، مع إخوانهم من المسلمين العرب في بوتقة الإسلام.

في مجتمع المدينة كانت المساواة بين الرجل والمرأة، فظهرت مواهب النساء، وكان للمرأة دورها الريادي في التربية والدعوة والجهاد...

التبادل الثقافيّ:

من المهلكات إعجاب المرء بنفسه، وهذا يجعله يعتقد أنّ رأيه صواب لا يحتمل خطأ، فتراه لا يقبل نصيحة، ويصبح مستبدّاً، والنبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، وهو المعصوم، أمره ربّه أن يشاور {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}(آل عمران:159)، وفي المشورة تتلاقح العقول، ويمكن النظر إلى القضية من الزوايا جميعها، ونبيّنا، صلّى الله عليه

وسلّم، أخذ برأي الصحابة قبل غزوة بدر وغزوة أحد، وأخذ فكرة حفر الخندق من سلمان الفارسيّ، رضي الله عنه، وأخذ برأي الحباب بن المنذر في موضع المعركة في بدر، وأخذ برأي أم سلمة بعد صلح الحديبية، فخرج وذبح وقصّر وتحلّل بعدما رأى الصحابة، وقد ثقل عليهم العودة بلا أداء العمرة، والأمثلة كثيرة.

اعتماد مبدأ الكفاءة:

النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، يبني دولة، وبناء الدول يحتاج إلى الأقوياء من ذوي العزائم والكفايات، وليس إلى المهازيل الذين ليست لهم حيلة، وقد رأيناه يقدّم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، ويوليهما القيادة وكانا حديثي عهد بالإسلام، ورأيناه يخلع الألقاب على ذوي الكفاءات، فهذا الصدّيق، وهذا أمين الأمة، وهذا الفاروق، وهذا سيف الله المسلول...، ورأيناه يولّي أسامة بن زيد، رضي الله عنه، وهو دون العشرين ربيعاً قيادة جيش فيه خيرة الصحابة؛ ذلك بالنظر إلى كفاءته.

القوى الشاملة:

أمّة الإسلام ليست أمّة كهنوت، أو أمة رهبنة، بل أمّة عاملة في المجالات جميعها، ومرشدها كتاب ربّها وسنّة رسوله، قال تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ}(الجمعة:10)، وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى)(*)؛ ولذا بنى النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، سوق المدينة، وحثّ

* صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى.

على العمل، وبين أنّ اليد الخشنة يحبّها الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وخير للمسلم أن يحتطب من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه، وهذا درس للأمّة اليوم التي أضحت مستهلكة، وقد أعجبني من قال: ليس فخراً أن تملك السيارة، بل الفخر أن تصنع السيارة، وبئست الأمّة المتواكلة الكسولة، التي تأكل مما لا تزرع، وتلبس مما لا تصنع، ولا تصنع دواءها وسلاحها، وتقبل لنفسها أن تعيش على أدران الأمم.

خاتمة:

في بناء دولة الإسلام في المدينة المنورة لم يغفل نبيّنا، صلّى الله عليه وسلّم، جانباً من الجوانب، وكانت الرابطة العقدية صمام الأمان، والمجتمعات تُهدم من داخلها، ولكنّها إن كانت عقيدتها قوية صمدت، وشقّت طريقها، وتجاوزت المعوّقات، وإن كثر فيها الخبث من منافقين، وملحدين، وأصحاب أهواء انهارت وهلكت.

أنت تسأل والمفتي يجيب

الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

1. حكم تحنيط الإنسان والحيوان

السؤال: ما حكم تحنيط البشر والحيوانات لخدمة الأبحاث العلمية؟ علماً أنني شاهدت محلاً تجارياً وضع ديكاً محنطاً على أبوابه؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فالتحنيط يطلق في الاصطلاح على معنيين:

الأول: مباشرة الميت بالحنوط (الطيب)، وذلك بوضعه في كفنه، وعلى جثته؛ وهو بهذا المعنى جائز شرعاً، ويقاس عليه جواز وضع المواد الكيميائية على جثة الإنسان لمنع العفونة أو تأخيرها، لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَجْمَرْتُمُ الْمَيِّتَ، فَأَجْمِرُوهُ ثَلَاثًا»(*)، والمقصود من إجمار الميت تطييبه، ومنع تغير رائحته.

الثاني: حفظ جسم الإنسان أو الحيوان بعد موته، وذلك بنزع الرطوبات من جسده، وإضافة مواد معينة إلى جثته بقصد حمايتها من التحلل والتغير وتأثير الرطوبات،

* مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله، رضي الله عنه، وقال الأرنؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

وهذا النوع غير جائز في الإنسان؛ لأنه تمثيل بالميت من غير ضرورة تقتضي ذلك، فعن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «كَسْرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ كَكَسْرِهِ حَيًّا»[1]، ونزع الأمعاء ليس أقل من كسر العظام.

وحتى إن تحنيط الحيوانات الميتة لغير حاجة لا يجوز؛ لما فيه من العبث، وإضاعة المال في غير حاجة، ويستثنى من ذلك جواز تحنيط الحيوانات واقتناؤها عند الضرورة أو الحاجة، كأن يكون للأغراض العلمية والبحثية، التي تخدم حياة الخلق.

2. حكم صلاة المريض الغائب عن الوعي الذي يفيق أحيانًا

السؤالان: هل يجب على مريض غائب عن الوعي، ولكنه يفيق لفترات قصيرة جداً قضاء ما فاته من صلاة؟ وهل يجب على أهله إخراج مبلغ مالي عنه؟ علمًا أنه عند استيقاظه ورجوع وعيه، لا يستطيع الوقوف، نتيجة جلطة، ونزيف دماغي.

الجواب: اختلف الفقهاء في حكم قضاء الصلاة في حقّ فاقد الوعي، فذهب الحنفية إلى أن عليه أن يقضيها إذا فقد وعيه يومًا وليلة أو أقل؛ فإن كان أكثر فلا قضاء عليه[2]، وذهب المالكية والشافعية إلى عدم وجوب قضاء ما فاته من صلاة نفيًا للحرج، ولأنها قد تكثر فيشق عليه القضاء[3]، وذهب الحنابلة إلى وجوب قضائها، لأنه في حكم النائم، لا يسقط عنه قضاء شيء من الواجبات التي يجب قضاؤها على النائم[4]

ونميل إلى ترجيح رأي المالكية والشافعية؛ نفيًا للحرج والمشقة، وبخاصة كما في

1. سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب في الحفار يجد العظم هل يتنكب ذلك المكان، وصححه الألباني.
2. الكاساني، بدائع الصنائع : 1/ 108.
3. النفراوي، الفواكه الدواني: 1/ 235، الماوردي، الحاوي الكبير: 2/ 38.
4. ابن قدامة، المغني: 1/ 209.

حال السائل الذي يفيق لفترات قصيرة، ولا يلزم أهله إخراج مال عنه.

أما في حال إفاقته، فالصلاة لا تسقط عنه إن كان في وعيه وإدراكه، وإنما يرخص له في ترك ما لا يقدر عليه من أفعال الصلاة والطهارة، فإذا تعذر على المريض القيام، صلى قاعدًا، وإن تعذر عليه القعود صلى على جنب، فعن عمران بن حصين، رضي الله عنه، قال: «كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الصَّلاَةِ، فَقَالَ: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»(*).

فالمريض يصلي حسب ما يقدر عليه من أفعال الصلاة وشروطها، ولا يجوز له تركها بالكلية، فالله تعالى يقول: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} (الحجر: 99)، واليقين: الموت، فلا يقبل من إنسان بالغ عاقل، وإن كان مريضًا، أن يترك الصلاة لمرض أصابه.

3. حكم إقامة قاعة للتعزية تحت المسجد

السؤال: تم بناء مسجد قبل سبع سنوات من طابقين، الأول قاعة شاغرة، والثاني خصص مسجداً للصلاة، والأرضي استعمل من اليوم الأول لإقامة دورات لتعليم القرآن، وأمور أخرى كمبيت الدعاة فيه، والآن نريد استعمال الطابق الأرضي للتعزية بالأموات لضيق الأماكن في البلد، فهل يوافق القائمون على المسجد على ذلك؟ علمًا أنهم عندما جمعوا الأموال للبناء جمعوها من أجل إقامة مسجد.

الجواب: المكان الذي وقِفَ ليكون مسجداً، لا يجوز استخدامه لأغراض أخرى؛ تقيداً بشرط الواقف، وذلك استناداً إلى قرار مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين رقم: 1 /115 بتاريخ 20 /3 /2014م.

أما إن لم يخصص المكان مسجداً، فيجوز استخدامه لأغراض أخرى، ومنها إقامة

* صحيح البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب إذا لم يطق قاعدًا صلى على جَنْب.

قاعة عزاء فيه عند الحاجة، إذا تحقق الشرطان الآتيان:

1 - ألا يكون في استخدامه للتعزية إيذاء للمصلين، أو يعرقل إقامتهم للصلاة.

2 - الامتناع عن ارتكاب أي محظور شرعي، خلال تقبل العزاء فيه.

وعليه؛ فإن تحقق هذان الشرطان، وكانت هناك حاجة لاستخدام الطابق الأرضي للتعزية، فيجوز ذلك.

4. حكم بيع منتوجات لجهات ترتكب محظورات في طريقة تسويقها

السؤال: أعمل في صناعة منتوجات الجلد الطبيعي، مثل الحقائب، والمحافظ النسائية وغيرها، وهناك بعض الشركات والأفراد يودون شراء المنتوجات التي أقوم بصنعها لبيعها من خلال منصاتهم الإعلانية بمختلف أشكالها وأنواعها، مثل الفيديوهات، والصور، ومواقع التواصل الاجتماعي، وغيرها من أشكال التسويق الحديث، ومعظم الشركات والأشخاص الذين يودون شراء المنتوجات مني لا يتقيدون بضوابط الشريعة الإسلامية، مثل الحجاب، أو وجود موسيقى في فيديوهاتهم وغيرها، على الرغم من أنهم مسلمون، فهل آثم على بيعهم تلك المنتوجات؟ مع أنني لم أشارك في إعلاناتهم، ولا تسويقهم.

الجواب: يجوز بيع المنتوجات المباحة؛ كالمذكورة في السؤال أعلاه، إذا لم يعلم مسبقاً أنها ستستخدم في أعمال محرمة، أو سيتم تسويقها بارتكاب محظورات شرعية، وإلا يحرم بيعها، للقاعدة الفقهية التي تقول: (للوسائل حكم المقاصد)(*)، وما يفضي إلى الحرام فهو حرام، وقد جاء في المغني: "ولا يجوز للرجل إجارة داره

* محمَّد بنْ حسَيْن ابن حَسنْ الجيزاني، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة: 1/ 279.

لمن... يتخذها لبيع الخمر أو القمار"[1]، وهذا ما أكده مجلس الإفتاء الأعلى في قراره رقم 1 /112 بتاريخ 26 /12 /2013م.

5. حكم الغش في الامتحان، وتزوير شهادة الخبرة

السؤالان: قمت خلال دراستي بالغش عند الإجابة عن بعض الأسئلة، وأنا الآن موظفة، فما حكم الراتب الذي أتقاضاه؟ وأنا طبيبة نسائية درست البورد، وأخذت مزاولة المهنة، وكل خمس سنوات نترقى في الشهادة فقط، مثلاً من أخصائية إلى استشارية، وخلال آخر خمس سنوات عملت فيها بشكل كامل ما عدا ستة أشهر كنت مريضة، لأنني كنت في نهاية الحمل وأنجبت بولادة قيصرية، علماً أن المشافي لا تعطينا إجازة طويلة، وإنما شهراً فقط، فلهذا السبب أضفت هذه الفترة إلى شهادة خبرة المشفى الذي عملت فيه، وعدلت التاريخ باستخدام الفوتوشوب، فهل هذا حرام؟

الجواب: الغش حرام، والرسول، صلى الله عليه وسلم، يقول: (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)[2]، والغش والتزوير آفة خلقية يرفضها الإسلام، وتذمها الشرائع السماوية الأخرى، وتعاقب عليها القوانين المعتبرة، ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: (أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ ثَلَاثًا: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَوْ قَوْلُ الزُّورِ)[3]، كما يجب على مرتكب ذنب الغش والتزوير، التوبة والاستغفار إلى الله تعالى.

وحتى تقبل التوبة يشترط تحقق أمور عدة، هي: الرجوع إلى الله تعالى، والاستغفار،

1. المغني: 5/ 321.
2. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم: «من غشنا فليس منا».
3. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها.

والندم على ما صدر من آثام ومعاصي، والإقلاع عنها، والعزم على عدم الرجوع إليها مرة أخرى، وإذا تعلق الذنب بحقوق العباد، فلا بد من إرجاعها إلى أصحابها، أو عفوهم عنها، فإذا توافرت هذه الشروط تتحقق التوبة، إن شاء الله تعالى، وهو القائل سبحانه: {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}(المائدة: 39).

وبالنسبة إلى تعديل تاريخ شهادة الخبرة للحصول على ترقية، فيعد هذا من الغش المحرم، ولا يجوز القيام بذلك، ويمكنك السعي لعلاج هذا الأمر بالطرق الصحيحة، من خلال إبلاغ المشفى الذي تعملين فيه بالحقيقة.

6. حكم ذهاب المرأة إلى العمرة دون إذن زوجها

السؤال: ما حكم ذهاب المرأة لأداء العمرة بمرافقة ابنها ودون إذن زوجها؟

الجواب: ينبغي بداية أن تقوم الحياة الزوجية على الود والرحمة والاحترام المتبادل، وبالنسبة إلى سفر المرأة لأداء العمرة، فنميل إلى ترجيح القول بأن العمرة مندوبة، وعليه ينبغي لها أخذ إذن زوجها في الذهاب لأدائها، فإن تعذر ذلك، فيمكنها أن تستعين بآخرين لإقناع زوجها بالموافقة، وذلك خروجاً من الخلاف، واحتياطاً للدين، ونوصي الزوجين بتقوى الله تعالى، وأن يُحسن كلٌّ منهما عِشْرةَ الآخر؛ لتتحقق المودة والرحمة والسكينة بينهما.

والله تعالى أعلم

والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل

دور مؤسسات المجتمع المدني ومنظماته في مواجهة التغيرات المناخية

د. حمزة ذيب

تحتل مؤسسات المجتمع المدني ومنظماته مكانة لا يستهان بها، في مجال التعاون والتكافل المجتمعي، ما بين الدولة والمجتمع والفرد؛ لذا فإن هذه المؤسسات بإمكانها أن تضطلع بدور كبير في مساندة الحكومة والدولة ومساعدتهما في المجالات المتعددة والمتنوعة، ومنها مواجهة التغيرات المناخية للحد من آثارها السلبية، وللحد من نتائجها.

إذ لو رجعنا إلى الأسباب التي أدت إلى التغير في المناخ، لوجدنا أن منها ما يعود إلى الحكومات، ومنها ما يعود إلى الأفراد والمؤسسات المدنية.

عوامل تغير المناخ وأسبابه:

إذا عرفنا الأسباب التي أدت بالمناخ إلى التغير والتحول، وعرفنا علاقة المجتمع المدني أفرادًا أو مؤسسات مدنية بهذه الأسباب، نستطيع تشخيص الدور الذي يناط بهذه المؤسسات، والعبء الذي يتوجب عليها أن تحمله على عاتقها، وتنهض به؛ لأن مقاومة هذه الأسباب، واتقاء آثارها، والعمل على الحد من ازديادها، لا بل مقاومتها، إنما هي مسؤولية جماعية بشرية، لا يقف أمر مقاومتها، أو الحد من ازديادها، واتقاء

آثارها السلبية، ونتائجها الضارَّة بالبشرية عند الحكومات والدول فحسب، وبالتالي يتوجب أن يكون هذا الأمر الخطير والضروري واجب المجموعات البشرية بأسرها؛ دولاً وأفراداً ومؤسسات مدنية، ومنظمات مجتمع مدني، كل يقوم بالعبء الملقى على عاتقه، من خلال تخصصه في هذا المجال.

ومن عوامل التغير المناخي ما يأتي:

أولاً: التعامل الخاطئ مع الغابات والأشجار بوجهٍ عام، وذلك في جانبين:

أ- قطع كثير من الأشجار للاستخدامات الحياتية للخشب، حيث استخدم الإنسان المعاصر الأخشاب على هيئات وصور كثيرة، وأُدخلت مناحي الحياة المتعددة، مما أدى إلى استهلاك كثير من الأخشاب، وهذا يعني القضاء على الآلاف من الهكتارات من الأراضي المزروعة بالأشجار، ومما لا ريب فيه، أن ذلك يشكل خطورة على الغابات التي هي الرئة التي تتنفس منها الكرة الأرضية، وتشكل ضمانًا وأمانًا للإنسان والمناخ والأرض بشكل عام. وضرورة الأشجار وأهميتها من الناحية العلمية، فيما يتعلق بشأنها مع الأرض والإنسان معروف لدى العلماء كافة، ويكفي أنها مصدر الأكسجين للإنسان، وتقوم بامتصاص غاز ثاني أكسيد الكربون الضار بالإنسان وبالبيئة، كما أن أفضل وخير ما يواجه به التصحر الزاحف، إنما هو زراعة الأشجار.

ب- عدم اهتمام الإنسان بزراعة الأشجار، التي هي من ضرورات الحياة.

فالإنسان مسؤول في كلا الأمرين عن هذه الأفعال تجاه الغابات، من حيث قطع أشجارها، وتقصيره في زراعتها؛ إذ هناك كثير من مساحات الأرض خالية، لا تحوي

شيئًا من المزروعات أو الأشجار، بمعنى أن الإنسان لا يستثمر الأرض الاستثمار المطلوب، ولا يستغلها الاستغلال اللازم، ومما لا شك فيه أن ذلك تقصير كبير منه تجاه مصالحه، وما ينفعه في دنياه.

وحيال هذين الأمرين تستطيع مؤسسات المجتمع المدني ومنظماته أن تقوم بمهمةٍ كبيرة، وفي مكنتها أن تقف صفًا واحدًا في وجه هذه الأخطار، التي يقدم عليها الإنسان، ويسعى بذاته إلى حتف أنفه، وتستطيع منظمات المجتمع المدني أن تضطلع حيال هذا الأمر بأمور عدة، منها:

1. الضغط على الحكومات والدول كي تستصدر قوانين، وقرارات تمنع الحد، أو التقنين حيال التعامل مع الغابات، وتسن العقوبات الرادعة والزاجرة لكل من يتجاوز هذه القرارات، أو لا يعمل بمقتضاها.

2. العمل على توعية الجمهور والأفراد، وخلق ثقافة حيال أهمية الأشجار، وضرورة المحافظة عليها، وعلى الغابات، وأهمية وجودها للأرض والبيئة، والإنسان، كما أنها من أفضل السبل وأنجحها لمكافحة التصحر، وذلك عبر وسائل متعددة منها:

أ - الإعلام: وذلك من خلال التلفاز والمذياع والصحافة، وعبر شبكات التواصل الاجتماعي المتاحة، وغير ذلك من الوسائل المتعددة والمتنوعة.

ب - المدارس: وذلك من خلال الطلب من وزارات التربية والتعليم؛ لتضمين هذه الثقافة، وإيجاد الوعي الضروري، والمهم في المناهج المدرسية في الصفوف كافة، من الصف الأول، ومن رياض الأطفال، حتى الثانوية العامة، وعبر محاضرات ودروس توعوية للطلبة ما بين الفينة والفينة، وإيجاد حوافز للطلبة حتى تغدو ثقافة أصلية لهم وسلوكًا حياتيًا معاشاً.

ت - استحداث مساقات دراسية في الجامعات، لتكون متطلبات جامعية إجبارية توضح أهمية المحافظة على المناخ وضرورتها حتى تتحاشى البشرية أخطار تغير المناخ وآثاره، التي تهدد الحياة الإنسانية على ظهر هذا الكوكب، وتركز على ضرورة المحافظة على الغابات والأشجار، وضرورة استنبات الأشجار وزراعتها بصورة رئيسة ودائمة.

ث - المساجد: وهي من أهم مصادر المعرفة والثقافة في هذا الجانب، وإثارة الجمهور، وتوعيته حيال هذه الأمور، وحضه عليها، واستشعار الرقابة الإلهية والمحاسبة الآخروية، والتركيز على جانب الثواب والعقاب في ضرورة إيلاء هذا الأمر ضرورته، وحقه من المعرفة، والالتزام في جانب التطبيق العملي.

ج - النوادي الثقافية ذات الطابع الأدبي: لا تكاد تخلو مدينة اليوم من المراكز الثقافية وقد انتشرت هذه الثقافة، وهذا النوع من التوجيه المعرفي والعلمي والثقافي في زماننا المعاصر. وممكن جدًا أن تقوم هذه المؤسسات بدور كبير في مجال التوجيه والتوعية ونشر الثقافة المجتمعية حيال أسباب تغير المناخ، وطرق مواجهتها ومعالجتها، ولدى هذه المؤسسات الإمكانية في نشر مثل هذا الوعي، وخلق سلوك لدى أفراد المجتمع حيال هذا الأمر المهم.

ح - المؤتمرات والندوات ذات الصلة بالموضوع: تستطيع مؤسسات المجتمع المدني ومنظماته العمل على إقامة المؤتمرات العلمية والندوات التي تصب في هذا الاتجاه، وتخدم هذا الغرض، وتقوم على استقطاب علماء وباحثين متخصصين لمناقشة هذا

الموضوع، ووضع التوجيهات اللازمة في هذا الجانب، وتُغطى مثلُ هذه المؤتمرات والندوات إعلاميًا من تلفزة وإذاعة وصحافة، وغير ذلك من وسائل الإعلام المعاصرة، كشبكات التواصل الاجتماعي.

ومما لا شك فيه أن عقد المؤتمرات والندوات، واستقطاب الباحثين والمتخصصين والعلماء ذوي الصلة بهذا الشأن، يلعب دورًا عظيمًا في خلق ثقافة ووعي ومعرفة في أهمية التعرف إلى أسباب تغير المناخ، وطرق مواجهتها، ومنها وعلى رأسها ضرورة المحافظة على الغابات والأشجار بوجهٍ عام، والاهتمام بها زراعةً ورعايةً واستدامةً. ولو أن كل بلد أو دولة اهتمت مؤسساتها ومنظمات المجتمع المدني فيها بهذا الأمر، وأولت هذا الموضوع اهتمامًا وانتباهًا وتركيزًا لاستطاعت أن تخلق ثقافة عامة، ووعيًا كبيرًا.

ثانيًا: استخدام الطاقة التقليدية كالفحم والنفط والغاز.

يُنحي العلماء المتخصصون في المناخ باللائمة على الدول الصناعية الكبرى، التي تستخدم الطاقة التقليدية، وتستهلك منها الكثير الكثير في مجال الصناعات ذات التنوع والتعدد، ومن الدول الصناعية التي تستخدم مثل هذه الطاقة الولايات المتحدة الأمريكية، والصين واليابان والكوريتان، والدول الأوروبية، والهند، وروسيا. وغير ذلك من الدول الصناعية التي تستهلك من الوقود ومن هذه الطاقة الشيء الكثير.

ومما لا شك فيه أن العالم اليوم يفكر باستخدام طاقات جديدة وصديقة للبيئة؛ كطاقة الرياح، والطاقة الشمسية، والكهرباء في السيارات، وسواها، وغير ذلك من وسائل الطاقة التي لا تخلف أضرارًا بيئية وآثارًا سلبية على حياة الإنسان، وتقلب المعادلة في مجال المناخ، وتحيله من مناخٍ ضار ينذر بالخطر على الإنسان والبيئة، إلى نافع خير للبيئة والأرض والإنسان.

وحيال هذا الأمر تستطيع مؤسسات المجتمع المدني ومنظماته أن تقوم بدور كبير بمطالبة الحكومات والشركات ذات التوجه الصناعي بضرورة الانتقال من هذه الوسائل التقليدية في استعمال الطاقة إلى وسائل وأساليب جديدة نظيفة وصديقة للبيئة، ولا تحدث أضرارًا وآثارًا سلبية في موازين المناخ، لاسيما أن هناك توجهًا لدى كثير من الناس إلى استخدام الطاقة البديلة، سواء من قبل شركات أم أفرادٍ، فنلاحظ في مجال الشركات أن كثيراً من شركات صناعة السيارات بدأت تتجه صوب الكهرباء في توليد الطاقة عوضًا عن المواد التقليدية مثل السولار أو البنزين، ولربما في غضون الثلاثين سنة القادمة قد لا تكون هناك في الأسواق سيارات تستخدم المواد التقليدية في توليد الطاقة؛ كالسولار والبنزين. كما أن هناك الكثير من المؤسسات والأفراد بدأوا يتجهون صوب الطاقة الشمسية في توليد الكهرباء، وهناك اللجوء لدى كثيرٍ من الدول لتوليد الطاقة من خلال طاقة الرياح.

من هنا؛ فإن مؤسسات المجتمع المدني ومنظماته تستطيع استغلال كل هذه التوجهات لدى الدول والشركات والأفراد للضغط باتجاه السير في هذا الخط والنهج.

العمل في البرلمانات لسن قوانين وتشريعات تخص المناخ:

إن هذا الميدان لمؤسسات المجتمع المدني ومنظماته ميدان فسيح وواسع، وتستطيع من خلاله أن تتحرك التحرك الكبير، حيث البرلمانات هي مصدر سن القوانين والتشريعات، وفي أروقتها تُطبَخ ما تحتاج إليه الشعوب من نظم تنظم حياة الناس، ومواد قانونية تُسن لتطبيقها والالتزام بها. كما هي الأساس في تمثيل الشعوب من خلال أعضاء البرلمانات المنتخبة ديمقراطيًا وشعبياً. وهذا من أهم المواقع التي تستطيع الشعوب والناس المنتخِبة لهؤلاء الأعضاء أن تضغط باتجاه ما يلزم الناس ويحتاجون إليه من قوانين ونظم وتشريعات، وكل ما هو سبيل لتحقيق مصالحها ومرادها.

ومن هنا؛ فإن مؤسسات المجتمع المدني ومنظماته باستطاعتها أن تشق طريقًا عريضًا للضغط على البرلمانات لسن قوانين وتشريعات ونظم، تفرض على الدولة والمؤسسات والأفراد أن يتجهوا صوب التعامل مع المناخ بطرق سليمة، ووسائل تجعل منه ومن البيئة بيئة خضراء وصديقة للأرض وللإنسان، حيث من الممكن أن تضغط على الدولة في استصدار تشريعات وقوانين تحد من التخلص من الأشجار، أو يخصص في السنة أسبوعٌ أخضر يُعتنى فيه بزراعة الأشجار، وضرورة المحافظة على المزروع والموجود منها.

فعلى سبيل المثال؛ هناك مؤسسة اليونسكو للتراث تعمل جاهدة في سبيل المحافظة على التراث، وتضغط على الدول لتستصدر قرارات وتستحدث نظمًا تحول

دون هدم البيوت أو الآثار القديمة والتخلص منها. وتتجه هذه القوانين صوب منع هدم هذه البيوت والآثار والتعرض بالزوال والانهيار، فإذا كان ذلك في مجال الآثار، فإن الاتجاه صوب استحداث أنظمة وقرارات تخص الغابات والأشجار بالحد من قطعها وإزالتها أو التقنين في طرائق التعامل مع هذه الغابات والأشجار، والتي هي الرئة للكرة الأرضية وللبيئة وللإنسان.

كما تستطيع مؤسسات المجتمع المدني ومنظماته أن تنشط جاهدة لا في الضغط على الدولة أو المؤسسات المدنية والأفراد داخل الدولة فحسب، بل تسير نحو الضغط على المنظومة الدولية والأمم المتحدة، وعلى المهتمين بالمناخ وذوي الاختصاص في هذا المضمار، لتضغط هذه المنظومات الدولية المهمة على الدول بوجهٍ عام، وتصدر قرارات تلزم بها الدول كافة قدر المستطاع للسير قدمًا في هذا السبيل، وهذا التوجه الضروري للمناخ والبيئة والإنسان، وذلك في جوانب استخدام الطاقة البديلة النظيفة ووسائلها بديلًا عن استخدام الوسائل القديمة والتقليدية؛ كالفحم الحجري، والأخشاب، والنفط بأنواعه، والغاز. وهناك توجه من هذا النوع لدى الدول والكثير من الشركات المصنعة لمختلف الصناعات، وهذا ما يجب التوجه نحوه من قبل المصانع المتعددة والمتنوعة، والتي تعتمد استخدام الوسائل والطرق القديمة التقليدية، كالفحم والأخشاب والنفط بأنواعه، والغاز، لاستحداث الطاقة البديلة اللازمة للتشغيل والصناعة.

ومما لا ريب فيه أن ذلك من خير السبل والوسائل التي تسير فيها، وتستخدمها

منظمات المجتمع المدني في الضغط باتجاه التعامل السليم والصحيح مع المناخ، وضرورة استخدام الوسائل والطرق النظيفة ذات الصداقة مع البيئة والإنسان، وإذا نجحت في ذلك، فتكون قد صنعت هذه المنظمات المجتمعية خيرًا للإنسانية والبشرية، وذلك خير لها ألف مرة من استخدام وسائل الضغط، التي تمارسها بكل قوة وشراسة، وتقاتل دونها، وتحاول بكل جهد مستطاع أن تفرضها على الإنسانية والبشرية في قضايا تافهة جدًا، وقضايا مسيئة للإنسانية والفطرة البشرية.

إن من الوسائل والطرائق التي قد تستخدمها مؤسسات المجتمع المدني ومنظماته في مواجهة الأسباب التي أدت وتؤدي إلى تغير المناخ مما يتهدد ويشكل خطورة على البيئة والحياة البشرية والإنسانية، إضافة إلى ما تقدم من وسائل، هناك أيضًا:

المؤسسات التربوية والتعليمية:

هذا مجال فسيح ورحب لإيجاد البيئة التوعوية والثقافية، حيال هذا الأمر الخطير، فهناك المدارس، والمعاهد، والجامعات. وهذا ميدان بإمكان منظمات المجتمع المدني أن تقوم بدور كبير ومؤثر جداً فيه، وذلك من خلال الطلب من وزارات التربية والتعليم لتضمين هذه الثقافة، ثقافة الحفاظ على المناخ، والبعد عن كل ما يتسبب بالأذى للبيئة والإنسان، ويكون سببًا في تغير المناخ باتجاه السلب والأذى، والتسبب بالخطر للبشرية. ويكون هذا التوجه منذ نعومة أظفار الفرد والمواطن بشقيه الذكور والإناث، لا بل ومن رياض الأطفال، وتضمين المناهج هذه الثقافة المهمة في الصفوف الدراسية كافةً، كما يُركز في هذا السبيل على ضرورة

الالتزام بهذه المفاهيم في السلوك العملي، والنهج الحياتي، حيث لا يجوز ولا يصح أن تبقى ثقافة وعلومًا معرفية فقط، بمعنى لا يصح أن تبقى ضمن الدوائر النظرية وحسب، لا بل يتوجب أن تتجسد سلوكًا عمليًا ومنهجًا حياتيًا في أيام الفرد، وسني حياته كافة، حتى تتبلور إلى سلوك قويم، ومنهج عملي دائم، مما ينعكس ذلك بالضرورة حينئذ على المجتمعات المحلية والإنسانية في الدول كافة، ولدى شعوب الأرض، لأن هذه القضية لها علاقة بالإنسان حيث هو، وبالوجود البشري حيث كان. وهذا بالتأكيد سينعكس على المجتمع الدولي حينئذ، وسيتجسد نهجًا لدى المكونات البشرية حيث كانت وتكون.

كما من الممكن أن تطلب مؤسسات المجتمع المدني ومنظماته من وزارات التربية والتعليم أن يكون العمل وفق هذه الثقافة أيضًا في الكلمات التوجيهية الصباحية في كل مدرسة، ومن الممكن أن يُعمل من خلال مدرسة أو مجموعة مدارس ندوة أو حلقة نقاش حول ضرورة التعامل مع البيئة بصورة صحيحة، وتُبَيَّن أضرارُ الطرائق والوسائل الخاطئة مع البيئة، حيث تغدو هذه الثقافة معلومات ومخزونًا علميًا لدى كل طالب منذ نعومة أظفاره، والعمل ذاته في مجال التوعية والتثقيف لدى الطلبة في الجامعات والمعاهد العلمية والمراكز الثقافية، وتُكلف المراكز ذات الاختصاص بعمل الأبحاث العلمية، وعقد المؤتمرات والندوات الخاصة بذلك، حتى تغدو هذه الثقافة سلوكًا ونهجًا حياتيًا قويماً، والجميع يكون ضمن هذا المسار الحميد ذي النفع العائد على البشرية بالخير، ودرء الضرر والأخطار المحدقة بالبشرية.

إن منظمات المجتمع المدني لديها الإمكانات والقدرات والوسائل، للسير قُدُمًا في هذا الاتجاه وفي هذا السبيل الذي يقض مضجع البشرية والإنسانية، ويهددها بالأخطار، ولربما بالتآكل، ثم الفناء.

لدى هذه المؤسسات والمنظمات أساليب كثيرة وطرائق متعددة، تستطيع من خلالها أن تلعب دورًا كبيرًا حيال أسباب تغير المناخ، وطرق الوقاية منها، والعمل على الضغط على المجتمع الدولي في ضرورة السير قدمًا نحو هذا السبيل وباتجاهه، حتى يحدث تغيرًا دوليًا وعالميًا في وسائل وطرق التعامل مع البيئة بصورة صحيحة تتلاءم ونظافة البيئة والمناخ، مما يعود على المناخ، والبيئة، والإنسانية بصورة عامة بالخير والنفع، ويُدرأ عن كل ذلك الأخطار التي تهدد البيئة والبشرية من خلال التغير الملحوظ في مناخ الكرة الأرضية، الذي قد بدت آثاره السلبية هنا وهناك. ومما لا شك فيه أن البشرية تنتظر ما هو أشد وأكبر وأخطر مما هي عليه اليوم إن لم تأخذ في الحسبان كل هذه المعطيات، وتتدارك كل ذلك على هيئة وصورة سريعة، وتعاون دولي وعالمي علميًا وصناعيًا وتقنيًا وتكنولوجيًا، وذلك في مجالات الحياة المتعددة والمتنوعة من مجالات الصناعة كافة؛ مدنية كانت أم عسكرية، وكذلك في المجالات الزراعية، والمحافظة على نظافة البحار والأنهار والجداول، والتعامل مع النفايات بطرق علمية سليمة؛ كقضايا التدوير في هذا الشأن، وطرائق التعامل مع المياه العادمة، وإعادة تدويرها، والنظر في أي المجالات من الممكن أن تخدم وتكون صالحة في هذا الاتجاه، مما لا يعود على البيئة تربة وأشجار، وكذلك على الإنسان بالضرر والأمراض والأوبئة.

التّصوّف في الإسلام

أ.يوسف عدوي / باحث وكاتب ومحاضر جامعي

المقدّمة:

الحمد لله الّذي أعطى كلّ شيء خلقه، ثمّ هدى، وأفضل الصّلاة، وأتمّ التّسليم على سيّدنا وشفيعنا وقائدنا ونبيّنا محمّد، سيّد الأوّلين والآخرين، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدّين، وبعد؛

فقد قرأت أكثر من ثلاثين كتاباً عن التّصوّف الإسلاميّ؛ لأكتب هذا المقال المتعلّق به، الّذي كان على مرّ العصور يعد من أشرف العلوم وأجلّها، حيث يقوم على الاستقامة وفق منهج الكتاب والسّنّة والشّريعة المطهّرة، فالمتصوّفون يرتكزون على قولهم (الاستقامة عين الكرامة)، وأساس التّصوّف هو مراقبة قلوبهم، وتأديب نفوسهم، وتصفية أرواحهم، واستقامة جوارحهم، والكتابة في هذا الموضوع أكبر بكثير ممّا يظنّه الظّانّون، فالقلب، والرّوح، والنّفس، والعقل، والجسد، وأمور أخرى كثيرة تقتضي بياناً من العاملين في الدّعوة إلى الله.

في هذا المقال سأتجنّب الحديث عن الخلاف في النّظرة إلى التّصوّف والمتصوّفين، ومشكلات التّصوّف الحديثة، وسأقصر حديثي حول تعريف التّصوّف لغة واصطلاحاً،

ونشأة التّصوّف وحقيقته، والمقام والحال في التّصوّف، ودور الصّوفيّة في نشر الإسلام، ونبذة عن التّصوّف في فلسطين، وأسأل الله التّوفيق والسّداد.

التّصوّف لغةً واصطلاحاً:

التّصوّف لغة: من صاف تصوّف، وهي طريقة سلوكيّة قوامها التّقشّف، والتّحلّي بالفضائل؛ لتزكو النّفس، وتسمو الرّوح.

التّصوّف اصطلاحاً: منزع علميّ وعملي، نزعت إليه الحياة الرّوحيّة الإسلاميّة منذ أوّل نشأتها في صدر الإسلام، وهو مرآة الحياة الرّوحيّة الّتي يخضع فيها الإنسان نفسه لألوان من الرّياضة والمجاهدة، ويعدّ فيها قلبه لمعرفة الحقائق عن طريق الكشف والمشاهدة، الّتي تقوم أوّلاً على ما اقتدى فيه الأوّلون بالنّبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، من زهد ونسك وتقوى[1].

وعلم التّصوّف: مجموعة المبادئ الّتي يعتقدها المتصوّفة، والآداب الّتي يتأدّبون بها في مجتمعاتهم وخلواتهم.

والصّوفيّ: من يتبع طريقة التّصوّف والعارف بالتّصوّف، وسمي بذلك؛ لأنّه يفضّل لبس الصّوف تقشّفا[2]

نشأة الصّوفيّة:

يرجع التّصوّف في الإسلام إلى عهد النّبيّ، عليه الصّلاة والسّلام، حيث تنسّك من الصّحابة أبو ذرّ الغفاريّ، وحذيفة بن اليمان، وأويس بن عامر القرنيّ، وصهيب

1. المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربيّة، مادّة صاف، ص529 .
2 . الموسوعة العربية الميسّرة، المجلّد الأوّل، ص525 .

الرّوميّ، وكانوا يدعون منذ نشأتهم إلى النّصف الأخير من القرن الثّاني بالزّهّاد، أو العبّاد، أو النّسّاك، أو البكّائين، أو الوعّاظ، ولم ينكر عليهم هذا الزّهد أحد، لا الرّسول، عليه الصّلاة والسّلام، ولا أصحابه، بل أقرّهم على خطّتهم، واعترف لهم كثير من الصّحابة بكرامات، ومعارف خفيّة لا تتاح لعامّة المسلمين[1].

ويقال إنّ أوّل من سمّي بالصّوفيّ أبو هاشم الصّوفي، ويليه جابر بن حيّان الكيميائي، والمحاسبيّ، والجاحظ، والحسن البصريّ، ومالك بن دينار، وجميعهم عاشوا في القرن الثّاني الهجريّ. وأصبح التّصوّف علماً كعلم الفقه، له مذاهبه، ومدارسه، ومجتهدوه، وأئمّته الّذين شيّدوا أركانه، وأرسوا قواعده ومداميكه، وأُلّفت فيه آلاف الكتب، ومن أشهر الكتب القديمة: الحكم العطائيّة، لابن عطاء الله السّكندريّ، وإحياء علوم الدّين، للإمام الغزالي، والرّسالة القشيريّة، للإمام القشيريّ، وغيرها كثير.

لذا؛ فإن جوهر التّصوّف سلوك وتعبّد وزهد في الحياة الدّنيا، وإقبال على العبادات، واجتناب المنهيات، ومجاهدة النّفس، وكثرة ذكر الله، وكلّ ذلك مستمدّ من القرآن والسّنّة النّبويّة، ونجد أنّ أبا حنيفة النّعمان هو أوّل أئمّة المسلمين المشرّعين الأربعة، وأحد أعلام المتصوّفين التّابعين يقول: "اللهمّ إنّي لا أعبدك طمعاً في جنّتك، ولا خوفاً من نارك، وإنّما حبّاً لذاتك"[2].

حقيقة التّصوّف:

لقد نظر الصّوفيّون إلى أنفسهم على أنّهم أرباب الحقائق، وأهل الباطن، واستطاع

1. أ.د.محمد غلاب، التّصوّف المقارن، ص60 .
2. المرجع السابق نفسه .

الإمام الغزاليّ ببراعته، وحرارة إيمانه أن يحبّب أهل السنّة في التّصوّف، فجعل منه طريقاً ذوقيّاً روحيّاً للمعرفة اليقينيّة، والسّعادة الحقيقيّة، وبرهن أنّ حركات الصّوفيّة جميعها من ظاهرهم وباطنهم هي عنده مقتبسة من نور مشكاة النّبوّة، والمتصوّف يبدأ بتطهير نفسه من الدّنس والأقذار، والأهواء، والنّزعات المنحرفة، حيث يصبح أهلاً للتّجلّي، وما التجلّي إلّا شعور يزيد من محبّة الله، والقرب منه سبحانه وتعالى.

في الصّوفيّة أفكار ومعتقدات تشترك في معظمها الفرق الصّوفيّة جميعها؛ من القادريّة، والشّاذليّة، والرّفاعية، والبدويّة، والعلاويّة، والنّقشبنديّة، والخلواتيّة، وغيرها من الطّرق، ولكنّها تختلف في أسلوب سلوك المريد، أو السّالك، وطرق تربيته، ويمكن إجمال أهمّ أفكار الصّوفيّة في نقاط محدّدة، وهي:

- التّوبة: وهي نقطة انطلاق المريد، أو السّالك إلى الله تعالى.
- الإخلاص: وهو إخلاص الصّادقين، وإخلاص الصّدّيقين.
- النّيّة: وتعدّ أساس الأعمال، والأخلاق، والعبادات.
- الخلوة: أي اعتزال النّاس، ومدّتها تختلف من طريقة إلى أخرى، فمثلاً في الطّريقة الشّاذليّة تستمرّ الخلوة ثلاثة أيّام.
- الزّهد: ويقوم الزّهد على تصفية القلب ممّا سوى الله، والزّهد في الحلال، وترك الحرام.
- النّفس: وتجب تزكيتها؛ لتكون مركز الطّاعات فقط.
- الورع: وهو العمل لله، وبالله على البيئة الواضحة، والبصيرة الكامنة.

- التّوكّل: وهو صرف القلب عن كلّ شيء إلّا الله.

- الرّضا: وهو رضا الله عن العبد.

- المحبّة: وهو سفر القلب في طلب المحبوب، ولهج اللّسان بذكره على الدّوام.

- الذّوق: وهو تلقّي الأرواح للأسرار الطّاهرة في الكرامات، وخوارق العادات.

- علم اليقين: وهو معرفة الله تعالى معرفة يقينيّة، ولا يحصل هذا إلّا عن طريق الذّوق، أو العلم اللّدنيّ، أو الكشف.

- السّماع: وهو سماع الأناشيد الغزليّة الصّوفيّة.

ففي التّوبة مثلا يقول القشيريّ: "التّوبة أوّل منازل السّالكين، وأوّل مقام من مقامات الطّالبين، وحقيقة التّوبة في لغة العرب: الرّجوع، يقال: تاب أي رجع، فالتّوبة الرّجوع عمّا كان مذموماً في الشّرع إلى ما هو محمود فيه[1].

المقام والحال في التّصوّف:

المقام والحال مصطلحان يستخدمهما الصّوفيّون للتّدليل على تدرّج السّالك للطّريق الصّوفيّ من مكانة إلى أخرى، ولما يتعرّض له في تدرّجه هذا في المقامات من أحوال تأتيه من نسمات الرّحمة الإلهية، والمقام: هو مقام الإنسان بظاهره وباطنه في حقائق الطّاعات، وأمّا الحال فهو ما يتعرّض له القلب من نسمات الرّحمة الإلهيّة، والصّدر من الشّرح، ولا يدوم[2]، وكنت أستمع لأحد الشّيوخ الصّوفيّين عندما كنت ألتقي به يقول: الحال متغيّر، والمقام ثابت. ويكرّر الصّوفيّون قولهم إن الأحوال

1. القشيريّ، الرّسالة القشيريّة، ص253 .
2. د. أسعد السمحرانيّ، التّصوّف منشؤه ومصطلحاته، ص103 .

مواهب، والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي من عين الجود، والمقامات تحصل ببذل المجهود، وتعد الأحوال والمقامات عند الصّوفيّة طريقاً موصلاً إلى معرفة الله عزّ وجل، وقد وصفها ابن خلدون في مقدّمته بالغاية المطلوبة للسّعادة، فيقول: "ولا يزال المريد يترقّى من مقام إلى مقام، إلى أن ينتهي إلى التّوحيد والمعرفة الّتي هي الغاية المطلوبة للسّعادة".[1]

تعد الأحوال من ثمرات الاستغراق في ذكر الله سبحانه وتعالى، يخلقها الله في قلوب الذّاكرين، وسمّيت أحوالاً؛ لأنّها تتحوّل ولا تدوم، وقد تسمّى وجداً لوجودها في القلب، فيقول الإمام الجنيد، رضي الله عنه: "الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم".

وقد جعل الإمام الواسطيّ للأحوال والمقامات علامات، منها: ما وافق كتاب الله، وسنّة رسوله، عليه الصّلاة والسّلام، وجذب إلى الله، واتّصل بالله، وآثرهما قرباً من الله، وعبد الله بذلك الحال، فاتّصلت عبوديّة العابد بذلك الحال لله، وكان العبد هو الذّليل الفقير الرّاجع إلى مولاه بالافتقار والالتجاء إليه، كما أنّها تزهّد صاحبها في الفاني، وترغّبه في الباقي، وتغيّبه عن الخلق، وعمّا في أيديهم، فيتّصل فناه بالله، وفقره إليه، وينفصل عن العالم، وعن الأشياء ممّا سوى الله تعالى.[2]

الصّوفيّة ودورها في نشر الإسلام:

قام شيوخ الصّوفية بأدوار معتبرة، تُحسب لهم في نشر الإسلام في أنحاء المعمورة، ويعزى إليهم الفضل في تحويل مجموعة من الشّعوب إلى الإسلام،

1. nafahat-tarik.com أمكن الرّجوع إليه في 1 /6/ 2023 .
2. nafahat-tariq.com أمكن الرّجوع إليه في 1 /6/ 2023 .

ونجحت الطّرق الصّوفية المنظّمة في نقل مضامين الرّسالة المحمّديّة إلى مناطق مختلفة من آسيا الوسطى، والبلقان، والهند، وغرب إفريقيا، فكان انتشار الإسلام في السّنغال، ومالي، والنّيجر، وغينيا، وغانا، ونيجيريا، وتشاد، إنّما يرجع الشّطر الأكبر من الفضل فيه إلى الطّرق الصّوفيّة، فكانت الزّوايا الّتي أسّسها شيوخ هذه الطّرق بؤراً لنشر الدّعوة الإسلاميّة بين الشّعوب الوثنيّة في غربيّ القارّة الإفريقيّة، كذلك نشاط الصّوفيّة في نشر الإسلام في الهند، والصّين، وماليزيا، وأندونيسيا [1]، وهذا ما أثار اهتمام المستشرقين من أمثال بروكلمان الألماني في أن يبحثوا في الصّوفيّة الإسلاميّة، ويؤلّفوا عشرات الكتب عنها، فألّف المستشرق بروكلمان كتاباً بعنوان: (أدب اللّغة العربيّة) قسم فيه المتصوّفة إلى عشرين طبقة، مراعياً في ذلك التّقسيم الزّماني والمكاني، وذكر في كلّ طبقة التّابعين لها جميعاً، ناصّاً على عدد مؤلّفات كلّ متصوّف، مع بيان المطبوع والمخطوط، وأماكن وجودها[2]

وكيف لا يكون للصّوفيّين دور في نشر الإسلام وهم عابدون، زاهدون، وعلى خلق كريم، ويعملون بالإرادة والرّياضة المصمّمة الّتي لا تلين، بل تزيل لقوّتها وتصميمها كلّ ما يقف أمامها من عقبات في سبيل الوصول إلى الله تعالى، ونشر الدّين؛ فيتأثّر الآخرون من مسلمين وغير مسلمين بهم وبأدبهم، وأخلاقهم، وحبّهم الكبير لله ولرسوله، ومحبّتهم للإنسانيّة، وإشفاقهم على النّاس، والدّعوة لهم بالهداية، فهجرتهم لله. قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم، عليه السّلام: {وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (العنكبوت : 26) والرّياضة الصّوفيّة تقوم على الذّكر الدّائم لله سبحانه وتعالى، وتحمّل المشقّة، والصبر على الطّاعات.

1. عبد الرّحمن بدويّ، تاريخ التّصوّف الإسلاميّ، ص25 .
2 . عبد الله حسين، التصوف والمتصوفة، ص17 .

الصّوفيّة في فلسطين:

نشطت حركة التّصوّف في فلسطين كجزء من الدّين، واشتهرت بعض العائلات الفلسطينيّة بالتّصوّف، الّذي لم يخرج عن القاعدة الشّرعية للإسلام، بل هو تعزيز لها، ورفع من شأنها، وتقوم على ذكر الله ذكراً صحيحاً، من دون تأويل، وبعيداً عن استعمال الطّبول، وخزعبلات التّبارك بشيخ الطّريقة الّتي يستخدمها البعض، وعُرفوا بإقامة الحضرات الّتي تكون لجلاء الهموم عن القلوب، وخلوة، وتواصل مع الله لإصلاح الباطن. يقول عبد الرّحمن شراب أستاذ العقيدة الإسلاميّة بجامعة القدس: "إنّ بداية ظهور الصّوفيّة في فلسطين كان إبّان الحكم العثمانيّ، وتوسّعت أنشطتها في بعض المدن، كجنين، والخليل، والقدس، وغزّة، ويتبع أصحابها الطّريقة القادريّة، والنّقشبنديّة، والشّاذلية، وتقيم هذه الطّرق الاحتفالات، والفعاليّات الاجتماعيّة، والابتهالات الدّينيّة، وشهدت الصّوفيّة مساندة ودعماً في فلسطين منذ عهد الرّئيس الفلسطينيّ الرّاحل ياسر عرفات إلى يومنا هذا، وعام 1990 كان قد تأسّس المجلس الصّوفيّ الإسلاميّ الأعلى، ليكون ممثّلاً، ومنارة لسائر الطّرق الصّوفيّة في فلسطين تحت راية ومنهج واحد، هو اتّباع القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة(*)، ويبدو أنّ الزّوايا الصّوفيّة كان لها ظهور لافت في مدينة الخليل، وينتمي أتباعها للطّريقة الخلوتيّة، وفي قطاع غزّة توجد الزّاوية العلاويّة الّتي تأسّست في خمسينيات القرن العشرين على يد الشّيخ مصطفى السّعافين، وتنشط هذه الزّاوية في المناسبات الدّينيّة، وعيديّ الفطر والأضحى.

* http://hafryat.com/ar/blog أمكن الرّجوع إليه في 2 /6 /2023.

الخاتمة:

بعد أن منّ الله سبحانه وتعالى عليّ إتمام هذا المقال عن الصّوفيّة في الإسلام، وجدت أنّ الصّوفيّين يرون أنّ أسمى ما في الحياة الهدوء، والسّكينة، وراحة البال، وطمأنينة النّفس، ولا يتأتّى ذلك بالجري وراء ملاذ الدّنيا وشهواتها، بل أن نكون سالكين لطريق الله بالخلق الطيّب، والإرادة، والرّياضة الرّوحيّة، وأنّ ثمرة المنهج الصّوفيّ ينطلق من قوله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} (الحجرات : 13) فإكرام الله للإنسان مستمر، كلّما زادت التّقوى حتّى يصل هذا الإكرام إلى درجات لا يكاد يتصوّرها أحد كما وردت في الحديث القدسيّ الذي رواه البخاريّ عن رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، عن ربّ العزّة جلّ وعلا: (إِنَّ اللَّهَ قال: من عَادَى لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إليَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إليَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إليَّ بِالنَّوَافِلِ حتى أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ كنت سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بها، وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بها، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيْءٍ أنا فَاعِلُهُ، تَرَدُّدِي عن نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وأنا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)[1].

وأكثر قرب العبد من الله، يتمثّل فيما قالته رابعة العدويّة عندما سئلت: متى يكون العبد راضياً ؟ قالت: إذا سرّته المصيبة، كما سرّته النّعمة.[2]

1. صحيح البخاريّ، كتاب الرّقاق، باب التّواضع.
2. العارفة بالله رابعة العدويّة، محمّد عبد الرّحيم، ص58.

تشابه دعوة رسول الله مع غيره من الرسل

أ. لبيب فالح طه

بعث الله سبحانه وتعالى الرسل مبشرين ومنذرين، حملوا رسالة الله إلى خلقه، ودعوا إلى التوحيد، وفضائل الأخلاق، وسبل الهداية في الدنيا والآخرة.

ورسالات الأنبياء تتشابه إلى حد بعيد؛ فهي تنهل من مصدر واحد، هو كلمة الله وشرعه سبحانه وتعالى، وهدفها هداية الناس وإرشادهم، بما يحقق لهم الفلاح في الدنيا، والفوز بالآخرة.

جاءت رسالة النبي، صلى الله عليه وسلم، الذي لم يكن بدعاً من الرسل، ضمن خط الرسالات السابقة، وتتويجاً لها، وإن اختلفت عن سابقاتها في بعض التشريعات، وفي كونها رسالة لعموم البشر وغير ذلك؛ ولكن التشابه والمطابقة يكادان يكونان كامليْن في أمور كثيرة؛ منها أن الرسل كافة بشر، ومضمون رسالات الأنبياء متشابه، وتكذيب الرسل من الأقوام التي أرسلوا إليها، والاستهزاء بهم، وتعذيب الأمم المكذبة لهم، ومحاولة الشياطين الدس والزيادة في حديث الأنبياء والمرسلين.

كل رسل الله بشر:

أرسل الله سبحانه وتعالى رسلاً للبشر من جنسهم، يتكلمون بلغتهم، ويعايشونهم ظروفهم نفسها، كان هؤلاء الرسل من الرجال حصراً، فلم تكن منهم امرأة قط، حيث قال تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ}(يوسف: 109). ووردَ الحديث عن جنس الأنبياء، وأنهم رجال في قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (النحل: 43)، وقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (الأنبياء:7).

كان لرسل الله، عليهم السلام، أسرهم وأزواجهم وذرياتهم، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ} (الرعد:38).

يقول الطبري في تفسيره للآية السابقة:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا} يا محمد {رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ} إلى أمم قد خلت من قبل أمتك، فجعلناهم بشراً مثلك، لهم أزواج ينكحون، وذرية أنسلوهم، ولم نجعلهم ملائكة لا يأكلون، ولا يشربون، ولا ينكحون.(*)

ومن دلائل بشرية المرسلين أنهم يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق؛ حيث يقول تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا}(الفرقان: 20).

* محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 16 /474 - 475، مؤسسة الرسالة، 2000.

وبشرية الرسل تقتضي موتهم كبقية البشر، قال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ} (الأنبياء: 34).

مضمون رسالات الأنبياء متشابه:

دعا رسل الله، عليهم السلام، إلى الإيمان بالله، وما يتعلق به؛ فأوصوا بتقوى الله، حيث قال تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا} (النساء: 131).

كما دعا الرسل، عليهم السلام، إلى توحيد الله وعبوديته، مصداقاً لقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} (الأنبياء: 25).

وأوحي للأنبياء بأن الشرك محبط للعمل الصالح، حيث يقول سبحانه: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (الزمر: 65).

وهناك سنن أجراها الله سبحانه على رسله، وهي تسري على رسوله الكريم، صلى الله عليه وسلم، حيث يقول سبحانه: {سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلا}(الإسراء:77).

قال الطبري في تفسيره للآية: يقول تعالى جلَّ ذكره: لو أخرجوك لم يلبثوا خلافك إلا قليلاً، ولأهلكناهم بعذاب من عندنا، سنتنا فيمن قد أرسلنا قبلك من رسلنا، فإنا كذلك كنا نفعل بالأمم إذا أخرجت رسلها من بين أظهرهم، ونصبت السنة على الخروج من معنى قوله: {وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلا} (الإسراء: 76)؛ لأن معنى ذلك: لعذّبناهم بعد قليل، كسنتنا في أمم من أرسلنا قبلك من رسلنا، ولا تجد لسنتنا

تحويلاً عما جرت به[1]

ومقتضيات الرسالة تستلزم نزول الوحي على الرسل؛ حيث يقول تعالى: {كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الشورى: 3).

{وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} (الزخرف: 45).

يقول القرطبي في ذلك: وسبب هذا الأمر بالسؤال أن اليهود والمشركين قالوا للنبي، صلى الله عليه وسلم: إن ما جئت به مخالف لمن كان قبلك؛ فأمره الله بسؤال الأنبياء على جهة التوقيف والتقرير؛ لا لأنه كان في شك منه.[2]

تكذيب الرسل من الأقوام التي أرسلوا إليها:

كذبت الأمم السابقة الرسل المرسلين إليهم، وفي هذا الصدد، يقول الله تعالى: {فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ }(آل عمران: 184)، وقال أيضاً: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ} (الأنعام: 34)، وقال تعالى: {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} (فاطر:4).

وقال سبحانه: {مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ}(فصلت: 43). قال قتادة، والسدي، وغيرهما: ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل للرسل من قبلك، فكما قد كذبت فقد كذبوا، وكما صبروا على أذى قومهم لهم، فاصبر أنت على أذى قومك لك. وهذا اختيار ابن جرير ، ولم يحك هو، ولا ابن أبي حاتم غيره.[3]

1. المرجع السابق: 17 /512.
2. محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 16 /96، تحقيق هشام سمير البخاري، الرياض: دار عالم الكتب، 1423 هـ/ 2003 م.
3. إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، 7 /183، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ص: 1660، 1420هـ - 2000 م.

الاستهزاء بالرسل:

تعرض كثير من الرسل، عليهم السلام، للاستهزاء من قبل الأقوام التي أرسلوا إليهم، حيث يقول سبحانه: {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}(الأنعام: 10 والأنبياء: 41)، وقال أيضاً: {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} (الرعد: 32).

والرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، تعرض لمواقف كثيرة من السخرية والاستهزاء من مشركي قريش وغيرهم.

تعذيب الأمم المكذبة:

أهلك الله سبحانه بالعذاب كثيراً من الأمم السابقة، حيث يقول سبحانه: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ}(الأنعام: 42)، وقال أيضاً: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}(الروم: 47)، وقال سبحانه: {تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (النحل: 63).

لقد زين الشيطان لقريش أعمالهم: {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (الأنفال: 48).

كان إصرار كثير من المشركين على اتّباع ما وجدوا عليه آباءهم سنة سار عليها مشركو قريش كغيرهم، مصداقاً لقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ

مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} (سبأ: 34).

محاولة الشياطين الدس والزيادة في حديث الأنبياء والمرسلين:

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (الحج: 52).

جاء في تفسير القرطبي لهذه الآية: فأخبر الله تعالى أن من سنته في رسله، وسيرته في أنبيائه، إذا قالوا عن الله تعالى قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، كما يفعل في سائر المعاصي[1].

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: هذا فيه تسلية له، صلوات الله وسلامه عليه، أي: لا يهيدنك (لا يضعفك) ذلك، فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء، قال البخاري: قال ابن عباس: {فِي أُمْنِيَّتِهِ} إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه، فيبطل الله ما يلقي الشيطان، ويحكم الله آياته[2].

فهذه رسالات الله، وهؤلاء رسله، ساروا على النهج نفسه؛ أما خلق الله، فمنهم من اتبع الرسل، فحقق صلاح الدارين، ومنهم من عصى الرسل، فخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

1. محمد بن أحمد القرطبي، مرجع سابق، 12 /83.
2. إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، 5 /445، انظر: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة الأنبياء، بَابُ {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا} [الأنبياء: 104].

انفعالات الرحالة على عتبات المسجد الأقصى المبارك

الشيخ عمار توفيق بدوي / مفتي محافظة طولكرم

ثلاث قامات من أكابر شخصيات زمانهم في القرن السابع عشر الميلادي، عشقوا المسجد الأقصى المبارك، فرحلوا إليه، ومكثوا فيه مدتهم. وهم: النابلسي(ت1143هـ)، والصديقي(ت1162هـ)، واللقيمي(ت1178هـ)، وهذه المقالة فريدة في عنوانها؛ ركزت على انفعالات الرحالة حين رؤيتهم مآذن الأقصى الشامخات، وسطوع أنوار منائرِه النيّرات.

وعلى عتبات المسجد الأقصى المبارك، التقت الأخيلة الحاضرة بأشباح مضت إليها ناظرة، وسالت الدمعات منهمرات على العتبات القدسية، هنا خرّ الأنبياء سُجَّداً وبُكيّاً، هنا الحبيب الأعظم، الذي صُنع له الحفل المهيب محمد، صلى الله عليه وسلم، فيا عاشق المسجد المأسور، اكحل جفونك من ثرى جماله. قال اللقيمي:

للأنبياء مشاهد مشهورة بالمسجد الأقصى الرفيع المعهد
بيمين صخرته شهود المصطفى للحور ربات الجمال المفرد
ومحل ما صلى بأفلاك السنا والأنبيا أعظم به من مشهد

ومحل بدء عروجه نحو العلا رفعاً فنعم المبتدا والمبتدي
محراب داود وقبة حكمة ومحل مهد للمسيح الأزهد
ومآثر مشهورة بشرى لمن وافى لها من متهم أو منجد
لو شاهدت عيناك منها مشهداً لوقفت مندهشاً بذاك المشهد
فعسى تسير بك العناية نحوه وتحل من علياه أفضل معبد
وإذا وصلت إلى حماه فاغتنم صفو الزمان وفرصة المتعبد
واكحل جفونك من ثرى أعتابه فبه الشفاء لكل طرف أرمد
وانظر له ببصيرة مجلوة لترى الحقائق من علاه تبتدي
واشرب من الكأس المردد مشربا كالسلسبيل الصرف عذب المورد

وكادت زفراتُ الرحالة النابلسي تتطاير في الفضاء، ويكأنه مقبل على بساط الجنّة الخضراء، وعلى عتبات الأقصى المبارك، قال:

وجئنا فأقبلنا عليه كأننا من البُعد أقبلنا على جَنةِ الخلدِ[1]

ويصف الرحالة الصديقي، تأهبه للصلاة في المسجد الأقصى، قائلاً: "فتأهبنا إلى ذلك بالطهارة والخضوع، وسكبنا على سالف الذنوب منا الدموع"[2]

واتخذ الصديقي مجلساً له، في أحد شبابيك الأقصى المطلة على جبل المكبر، وصحب معه الدواة والقلم، يكتب الشعر والأدب. خاطب الصديقيُّ المسجدَ الأقصى، يطلب شفاعته، ويقدم بين يديه تمجيداً، وتعظيماً للمسجد الذي باركه الله تعالى. وقال:

1. النابلسي: الحضرة الأنسية. ص: 98.
2. مصطفى الصديقي، الخمرة المحسية. ص:217. ، تحقيق عمار توفيق بدوي.

لولاكَ ما وافى لقدسٍ زائرٌ ترك الديارَ مجرداً لولاكا

أنتَ الذي حسدتك سكانُ السما والعرشُ والكرسيُّ قد هنّاكا

كما بلغ حب المسجد ذروته، وهو يقول فيه قول المحبين:

ويحقُّ للزّوارِ أن يمشوا على الأجفانِ فيك محبةً بثراكا

سلب جمال المسجد لبّ الصديقي، ورسخ جماله وجلاله في خياله، وخاطب المسجد على أنه صاحب الجلال والبهاء، في الإذن بالتمتع بجمال ما حوله من سناء، وبهاء، فقال:

فعسى ضواحيه تريه جمالها مستنشقاً طيب الشذا بنداكا

هذه الأبيات تفصح عن قلب امتلأ بحب الأقصى، فشربة واحدة من كأسه كفته ما سواها، ولا كانت أقداح الحبّ، ولا كؤوسه. ويحث المحبين على مسارعة الخطى، والولوج في حان المحبّة، دون إذن فلا وقت للاستئذان:

فهناك ادخل بلا مهلٍ تاركاً أسبابَ إعجابِ

وقال الصديقي: ومن نظر أشجاره، وهي متدلية الأغصان؛ قال: ما هي إلا عباد قاموا على قَدَمِ العبودية للرحمن. ومن طاف بأكنافه سحراً، رأى جلالاً للعقول بهراً... كم تشهد فيه من صارخ، وباكي، ومتأوه من الغرام، ومن ثقل الذنوب شاكي. وكم تشتبك فيه دموع على خدٍّ واله ولوع؛ حتى تكاد أن تتفطر من المحبّ الجنان، وتذوب من الصبّ الطروب الحشاشة والأركان[1].

ووصف الصديقي تأثره النفسي بالأقصى، فقال: "انبسطت روحي، وتشعشع جناني، وألِفَته نفسي، وكنت أشاهد فيه بسطاً زائداً، وحظاً ولحظاً للمعاني فائداً"[2].

1. الخمرة المحسية. ص:247 - 248.

2. الصديقي: الخطرة الثانية الأنسية للروضة الدانية القدسية. ص:25.

وعبّر اللقيميّ عن مكانة المسجد الأقصى بقوله: "منه تمتد إمدادات العوارف، وتجتنى ثمرات موانح اللطائف، وتهبّ بالقبول نسمات العواطف، ويشاهد ذلك أهل الكشف، عياناً خصّه الله كما خصّ حرمي مكة والمدينة بالكمال والجلال، فمن وفد إليه وافته مِنَحُ السعادة، ونشرت عليه ألوية السيادة، وبشره لسان الحال في البشرى الحسنى وزيادة وقال:

قد خصص المسجد الأقصى بمانحه فكان كالشمس حلّت ذروة الشرفِ

صلى الملائكة والرسل الكرام به وكونه مبدأ المعراج غير خفي[1]

الانبهار بأنوار المسجد الأقصى:

وقال اللقيمي[2]: هذا المسجد يجلي صدأ الهم عن القلوب، ويشرح الصدور، ويذهب الكروب. وقال النابلسي[3]:

وكم من جباهٍ للنبيين سُجّداً هنالك خرّت أمرها كان لا يعصى

دخلنا فشاهدنا من النور قبّةً على جلوة المحراب شاهدها استقصى

كثيبٌ من الأسرار في جانب الحمى ومنبر لطفٍ يشبه الستر والخصا

أثر مشاهدة المسجد الأقصى المبارك من قبل الرحّالة:

كان لمشاهدة المسجد الأقصى أثرٌ بالغ في نفوس الرحّالة. قال النابلسي: وشهدنا نور ذلك المقام المُنيف، وقلنا في ذلك من النظام اللطيف[4]:

إلى المسجد الأقصى بي الله قد أسرى وفكّ بإطلاقي من القيد عن أسرى

وشاهدت أنواراً هناك تشعشعت وكم كسفت شمساً وكم خفتْ بدرا

1. موانح الأنس. ص: 29 - 30.
2. موانح الأنس. ص: 94.
3. الحقيقة والمجاز ص: 346
4. الحضرة الأنسية. ص: 98، 148.

ولاحت لعيني قبّةُ النورِ تنجلي على البعد حتى أدهشت مقلتي جهرا

وهيبة أرواح النبيين لم تزل وإن قلوب العارفين بها أدرى

ولا تبتئس وادخل من الباب ساجداً وحطّ هناك الذنب والإثم والوزرا[1]

انفعالات الرحالة حين وداع المسجد الأقصى المبارك:

ظهرت انفعالات الرّحالة، وحبهم للمسجد الأقصى المبارك حين الوداع. قال الصديقي: ودعنا الصخرة والأقصى وزفرة الفؤاد بلغت السواد الأقصى، عند الوداع كادت تطير القلوب فرقاً، وتذوب بالحر الأكباد حرقاً.[2]

وقال اللقيمي: وكنت أود لو طال بالقدس المقام، ولا قوّض لي عن ذاك الحمى خيام، كما كنت أجد منه الراحة، والإيناس، وعدم الإضاعة، وحفظ الأوقات، والأنفاس، فيحق لي أن أهيم شوقاً، وأترنم وجداً. وقال شعراً[3]:

وما زلت بالوادي المقدس مولعاً يشوق فؤادي منه مغنى ومعهدُ

ووجدي به ينمو لفرط صبابة وبرح الأسى من ذكره يتجدد

وكنت أظن القرب يطفي تولعي فزاد هيامي فوق ما كنت أعهد

ويسعدني دهري بمشهد نوره فذاك به منه السعادة تشهد

وعندما حان فراق القدس محبوبة اللقيمي، بكاها بكاء الولهان، وسحّ عليها دمعه الهتّان. قال: "فصليت ركعتين بالمسجد مودعاً، وأضحى الفؤاد بفراق هاتيك المآثر مروعاً، وخرجت من المسجد الشريف باكياً، ولاعج الغرام بالقلب أمسى زاكيا". وقال:

1. النابلسي: الحضرة الأنسية ص: 143.
2. الخمرة المحسية. ص:329.
3. موانح الأنس. ص: 200.

سَفْحُ الجفون لذي الصبابة فاضحُ والعذر في سحّ المدامع واضح
غَلَبَ التشوّفُ والتشوّق والجوى فإذا العيونُ من الغرام سوافحُ
إني ألام وقد تجاذبني الهوى والشوق للبيت المقدّسِ طافحُ
فارقت واديه المبارك حوله وعيون أشجاني إليه طوامحُ[1]

أما الصخرة المشرفة، فكانت فيها العجائب. قال أبو بكر بن العربي المالكي(ت542هـ) حين ارتحل إلى المسجد الأقصى المبارك أنه شاهد الصخرة معلقة لا تتكئ على كتف الأرض، مما جعله يخاف الدخول أسفلها"[2]. قال النابلسي:

صخرة الله تتجلّى في المقامِ بكمال الوقار والاحتشامِ
وعليها جلالةٌ وجمالٌ في سماءِ العُلا كبدرِ التمام[3]

وللصخرة تأثير روحي دافق في نفوس الرَّحالة، وكان الرَّحالة الصديقي بعد الصلاة يقصدها، لعله ينال من إمدادات توافيها[4]، وفي بعض الليالي ينزل المغارة، مع الإجلال بعد تقبيل عينها، ولسانها[5]، واستلام القدم الشـريف[6]. وصدحت قيثارة شعر الصديقي روائع الشعر، قال[7]:

1. موانح الأنس. ص: 200.
2. ابن العربي المالكي، محمد بن عبد الله: المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس. دراسة وتحقيق د محمد عبد الله ولد كريم. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1992م. ص: 1076 - 1077.
3. النابلسي، عبد الغني: الحقيقة والمجاز. القسم الأول. تقديم وإعداد: د. أحمد هريدي. ص: 342.
4. الصديقي: الخطرة الثانية الأنسية. مخطوط. ورقة1.
5. تحت الصخرة مغارة من جهة القبلة، يتوصل إليها من سُلّم حجر ينزل فيه إلى المغارة، وعند وسط السلم صُفة صغرى متصلة به من جهة الشرق؛ يقف عليها الزوار؛ لزيارة لسان الصخرة. الحنبلي: الأنس الجليل: 2 /17، قال السيوطي، أبو عبد الله محمد ابن شهاب الدين: إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى. تحقيق د أحمد رمضان أحمد. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1982م. ص: 162.
6. موضع القدم الشريف اليوم في حجر منفصل عن الصخرة، محاذ لها آخر جهة الغرب من جهة القبلة، وهو على أعمدة. السيوطي: إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى. ص: 134. وهذه روايات غير مسندة، وأقاويل شائعة.
7. الخمرة المحسية. ص: 251.

يا صخرة الله إنّ القلب يهواكِ ولم يزل مغرماً في حسن محياكِ

يا درة ليس يدري قدر حرمتها إلا الغريب اللبيب الطيب الذاكي

في ظلمة الليل إنْ وافيت ساحتها فكم ترى عندها من نائح باكي

قد علم الوجد أجفاني السهاد فلا يمر بالجفن غمض حين ذكراك

فهل ترى الدهر لي بالعود يسعدني أو هل ترى في الكرى أحظى برؤياك

لو أنّ روحي بتصـريفي لقلت لك مجازياً بالذي أكرمتني هاك

سكب الصديقي دموعه، وسفحها على خدّيه؛ عسى أن ينال رضا محبوبته المتربعة على عرش النور، والبركة في القدس:

ألا رثيت لصبّ صبّ أدمعه يرجوك أن تمنحيه طيب لقياك

فهو العاشق المولّه، والحبيب الملتاع، أذابه الوجد، والاشتياق، فهو في شوق لها، وهي في جنبه، وعلى ذات يمينه، يأنس بها، وشوقه يتعاظم، واكتحلت عيناه بجمالها الأخّاذ:

أزورك كلَّ يومٍ كي أنال شفا من لوعتي فيزيد الوجد زوراك

خطف بريق جمالها بصره، وسلب النوم من أهداب عينيه، وغدا القلب طريح الغرام:

ألقت الصخرة بجمالها وجلالها في قلب الصديقي المحبّ المغرم، وحينما لاحت ساعة الفراق، وما فيها من ألم لعاشقها المتيّم، وجد نفسه يقدم روحه هدية طيبة لذات الجمال والجلال، والبهاء، والسناء:

قد علم الوجد أجفاني السهاد فلا يمر بالجفن غمض حين ذكراك

وقال النابلسي:

لصخرة الله نور يملأ الأفقا وليس يدريه إلا من إليه رقا

سِرٌّ عظيمٌ من الأسرارِ مكتتمٌ في قلب مسجدها يدريهِ أهلُ تقى

ومن رأى صخرة بالقلب منه قسا لأنه لم يزل بالصخر ملتحقا

وقال النابلسي:

هي كعبة الأرواح طافت حولها أسرارنا من قبل حجّ الكعبة

هي صخرة لانت لعارف فضلها وقست على الجهّال أبلغ قسوة

وقال النابلسي عن مكان قدم النبي، صلى الله عليه وسلم، في الصخرة:

قام في الصخرةِ طه المصطفى ليلةَ المعراجِ والرسلُ خَدَمْ

وبدا التأثيرُ مِن أقدامِه عبرةً لمّا بها الصخرُ اصطدمْ

فاتني لثمُ ثرى أقدامه فتبرّكتُ بآثارِ القدم

ويبقى المسجد الأقصى خالداً مسجداً، أبد الدهر، وإن عدت العوادي، فسرعان ما تكِرُّ نجدة الفرسان، وإن تطاحن الجيشان، ستبقى مآذنه سامقة بالتكبير، كلما ادلهم خطبٌ نادت، فلبّى عشاق الأقصى النداء من كلِّ فجٍّ عميق.(*)

* الحضرة الأنسية. ص: 122.

همسة وفاء

"ومناسبتها إحالة مجموعة من الزملاء إلى التقاعد
بعد خدمتهم في الوظيفة التي تجاوزت ربع قرن"

أ. زهدي حنتولي / دار الإفتاء الفلسطينية

في محفلِ التكريمِ قمتُ مبجّلاً ... وعلى جبيني همسةٌ ووفاءُ
أشدو بقافيةٍ تُكرِّمُ فاضلاً ... يوم التقاعدِ والحروفُ رواءُ
من وحيِ عاطفةٍ شدَت بشعورها ... شعراً يحلّق والفضاءُ سماءُ
ألقٌ على ألقِ القصيدةِ نيّرٌ ... وسراجهُ متلألئٌ وضّاءُ
يا صاحبي في الدرب أنتَ مكرّمٌ ... فينا وما ألقي به إهداءُ
قبسُ العطاءِ بما أنرتَ وميضهُ ... يمضي بمجدٍ دربهُ العلياءُ
وزرعتَ خيراً في حقول مودّةٍ ... واليوم تحصدُ والحصادُ عطاءُ
هذي سنابلكَ التي أسقيتها ... في روض عمركَ والسقاية ماءُ
وفي كلِّ سنبلةٍ حكايتها التي ... قد صافحت كلماتها الأنواءُ
تمضي الحياة وإثرُ دربكَ شاهدٌ ... يبقى يلوّح باسمكَ الزملاءُ
يُروى لكَ الإنجازُ إذ كلّلتهُ ... إكليلَ إخلاصٍ عليهِ ثناءُ
لم يخبُ صوتك في مدى أسماعنا ... وبه تُحدّثُ في المدى الأرجاءُ
يا من بذلتَ بكلِّ ما أوتيتَ منْ ... أملٍ يناغي طَيْفَهُ الكرماءُ
شكراً لما سطّرتهُ بكتابنا ... من رونقٍ أبدى بهِ الإنشاءُ

قرارات

أ. يوسف شحادة

محظورٌ يا وطني يَومًا ... أن بامرأةٍ رجلٌ يُجْمَعْ

كَيْ يُنْجِبَ طِفْلاً قُدْسِيًّا ... كيْ يَضرِبَ أَحجارَ المِقْلَعْ

محظورٌ يا علمي يَومًا ... أنْ تَبْسَمَ عَيْنُكَ كي تُرْفَعْ

يا كُلَّ العالمِ محظورٌ ... أن يقتل طفلٌ بالمدفع

محظور أن أبكي جُرْحي ... أو تُبدي مِرآتي إصبعْ

نصُّ المحظورِ يُزَلْزِلُني ... أَوَ كان لِمَحظورٍ أخْنَعْ

لن يبكي قلبي من جُحْدٍ ... لن يركَعَ طفلي لنْ يَرْكَعْ

لوْ كان لمحظوري ظُلَمٌ ... أشْعَلْتُ النُّور لكي أطلعْ

لو كان لِمحظوري سُحُبٌ ... لَحَرَقْتُ الوادي كي تُقْشَعْ

لو كان لِمحظوري ريحٌ ... لَبَنَيْتُ السَّدَّ لكي تُدْفعْ

لـــو كـــان لِـمـحـظـوري ظُـلْـمٌ لَـــوَجَـــدْتُ الـحَـقَّ لـكي أرْجِـــعْ

كـــلُّ المـــحـــظـــورِ لمـحـظـورٌ في نـــصِّ الـعـاقـلِ أنْ يُـسـمـعْ

قـلـبُ الـصِّـنْـديـدِ يُـــؤَرِّقُـــهُ مـا بـــالُ الـعـالمِ لمْ يَـسْـمَـعْ

أَوَ مـــات الـــنُّـــورُ بـساحـتـنا أَمْ دَكَّ الـطُّـغْـيـانُ المَـخْـدَعْ

أَوَ صـــارَ الـــذُّلُّ بـطـابـعـنا مـحـظـورٌ غـــيرهُ أَنْ يُـتْـبَـعْ

مـحـظـورُ المـحـظـورِ الأوَّلْ يـا نِـــسرَ الـــدولـــةِ لا تَـــفْـــزَعْ

فَـــسَـــيَـــأْتي مـحـظـوري يَـــوْمًـــا كيْ يَـنْـصِـبَ صَرْحًـــا بـالمِـدْفَـعْ

وســـيـــأتي جُـــنْـــدٌ جَـــنَّـــدَهُـــمْ ربُّ الأَوْطـــــانِ لِـــكيْ تُـــرْجَـعْ

مضرب الأمثال

أ. هالة عقل / رئيس قسم المطبوعات/ دار الإفتاء الفلسطينية

القرآن الكريم كلام الله المقدس، والمسلم مطالب بحفظه ومعرفة ألفاظه ومبانيه ومعانيه؛ فهو طريق الهداية والصلاح، فينبغي تعهده والمداومة على قراءته ومراجعته؛ حتى يظل ثابتاً في العقل والقلب، وهو أرقى الكتب العربية قيمة لغوية ودينية، لما يجمعه من البلاغة والفصاحة والبيان، كما أن له الفضل في توحيد اللغة العربية، وتطوير آدابها وعلومها الصرفية والنحوية، وقد أمر الله تعالى عباده بقراءة القرآن الكريم، والاستماع له، وعدم هجره، ويساعد القرآن على صفاء الذهن، وطمأنينة القلب، والحصول على الثواب ودخول الجنة، والابتعاد بالنفس عن المنكرات، قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}(الإسراء:9).

ومع سهولة ألفاظه ومبانيه، إلا أن بعضهم يواجه كثيراً من الصعوبات في حفظ القرآن الكريم، حيث إنه من السهل حفظه، وكذلك من السهل نسيانه.

مثل صاحب القرآن:

عن ابن عمر، رضي الله عنهما، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: (إنّما مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الإِبِلِ المُعَقَّلَةِ، إنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أمْسَكَهَا، وَإنْ أطْلَقَهَا ذَهَبَتْ)[1].

شرح مصطلحات الحديث:

الإبل المُعَقَّلة: أَي الْمَشْدُودَةِ بالعِقال، وَالتَّشْدِيدُ فِيهِ لِلتَّكْثِيرِ.[2]

عاهد عليها:العهد يَعْنِي الوصيةَ والأَمر، وتعَهَّدَ الشَّيْءَ وتَعَاهَدَه واعْتَهَدَه: تَفَقَّدَهُ وأَحْدَثَ العَهْدَ به.[3]

شرح الحديث:

بداية عندما نسمع قول رسولنا الأكرم، صلى الله عليه وسلم، "صاحب القرآن"، نشعر بتلك الألفةِ بين المسلم والقرآن؛ فهو كثير التردد عليه، وكثير الزيارة له، وكثير المشورة له؛ إن أصابه همٌّ أو شدةٌ ذهب إليه، واستعان به، فالقرآن لصاحبه كالصديق الصدوق، يجد منه النصح والمساندة في أوقاته كلها، وصاحب القرآن هو الملازم له؛ فلا يفارقه في صباح أو مساء.

وشبه النبي، صلى الله عليه وسلم، في الحديث أعلاه حافظ القرآن وحامله بصاحب الإبل المربوطة المشدودة بالحبال، وقوله: (إنّما مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ) أي مع القرآن والمراد بالصاحب الذي ألفه، قال عياض: المؤالفة المصاحبة، فالذي يداوم على قراءة القرآن وحفظه يذل له لسانه، ويسهل عليه قراءته، فإذا هجره ثقلت عليه القراءة،

1. صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، وكراهة قول نسيت آية كذا، وجواز قول أنسيتها.
2. لسان العرب: 11 /459.
3. لسان العرب: 3 /311.

وشقت عليه، وقوله: إنما يقتضي الحصر على الراجح، لكنه حصر مخصوص بالنسبة إلى الحفظ والنسيان بالتلاوة والترك، وقوله: (كَمَثَلِ الإِبِلِ المُعَقَّلَةِ) أي المشدودة بالعقال، وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير، فشبه درس القرآن، واستمرار تلاوته بربط البعير، الذي يخشى منه الشراد، فما زال التعاهد موجوداً، والحفظ موجود، كما أن البعير ما دام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ، وخص الإبل بالذكر؛ لأنها أشد الحيوان نفوراً، وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة، فإن عاهد عليها أمسكها، أي استمر إمساكه لها، وإن أطلقها ذهبت، أي انفلتت، وكذا القرآن الكريم، إن داوم المسلم على التعبد بتلاوته، ومراجعة حفظه له، بقي راسخاً في قلبه وعقله، أما إن سها عنه، ولم يمسكه، تفلت منه ونسيه.(*)

من فوائد الحديث:

- الحث على تعاهد القرآن وتلاوته، والحذر من تعريضه للنسيان بإهمال تلاوته.

- القرآن إذا لم يُتعاهد ويُراجع، نُسِيَ وصَعُبَ استرجاعه.

- حث صغار السن على تعاهد العلم النافع، والاستمرار على ذلك؛ لأن الوصية لهم أكبر، والحفظ في الصغر أسهل وأثبت.

- من أساليب الدعوة ضرب الأمثال.

قال الشاعر مادحاً حافظي القرآن الكريم:

* بتصرف، فتح الباري: 9 /79 - 80.

أَكْـرِمْ بقـومٍ أَكْرَمُـوا القُرآنـا وَهَبُـوا لَـهُ الأرواحَ والأَبْـدَانـا
قومٌ.. قد اختـارَ الإلـهُ قلوبَهُـمْ لِتَصِيرَ مِنْ غَرْسِ الهُـدى بُسْتَانـا
زُرِعَتْ حُروفُ النورِ.. بينَ شِفَاهِهِمْ فَتَضَوَّعَتْ مِسْكـاً يَفِيـضُ بَيَانَـا
رَفَعُوا كِتابَ اللهِ فـوقَ رُؤوسِهِـمْ لِيَكُونَ نُوراً في الظـلامِ... فَكَانـا
سُبحانَ مَنْ وَهَبَ الأُجورَ لأَهْلِهَـا وَهَدى القُلُوبَ وَعَلَّـمَ الإنسانـا

وقال آخر:

طوبى لمن حفظ الكتاب بصدره فبدا وضيئاً كالنجوم تألّقا
وتمثّل القرآن في أخلاقه وفعاله فيه الفؤاد تعلقا
وتلاه في جنح الدجى متدبراً والدمع من بين الجفون ترقرقا
هذي صفات الحافظين كتابه حقاً فكن بصفاتهم متخلقا
يا حافظا القرآن رتل آيِه فالكل أنصت للتلاوة مُطرقا
يا حافظ القرآن لست بحافظ حتى تكون لما حفظت مطبِقا
يا أمتي القرآن حبل نجاتنا فتمسكي بعراه كي لا نغرقا
ولتجمعي حول الكتاب شتاتنا حتى نزيل تناحرا وتفرُّقا

فهنيئًا لك يا مَن اتخذت من القرآن صاحبًا ورفيقًا، وبشراك بما يسُرُّك؛ فإنك قد رافقت مَن لا ندامة على صحبته، ولم تكن كمن أراد جني العنب من الشوك.

مثل في السياق:

(إنك لا تجني من الشوك العنب)

قصة المثل:

يقال إنَّ صبياً رأى والده يزرع شتلة في الأرض، وقد كبرت وحان موعدها، وإذا

به بعد فترة يقطف منها العنب، فقام الغلام وزرع شتلة من نبات شوكي، انتظرها لتكبر، فيجني منها العنب كما جنى والده.

فلما انتظر ولم يجد إلا الشوك، سأل والده عن الأمر، فأجابه: إنَّكَ لا تجني من الشوك العنب.

شرح المثل واستخدامه: جنى الثمرة، واجتناها، وتجناها، وكل ما يجنى من الثمر فهو جنى بالفتح والقصر وجناة.

والشوك: معروف؛ الواحدة: شوكة؛ وشجرة شاكة وشوكة وشائكة: ذات شوك: والعنب معروف.

ومعنى المثل أنّ الشر لا تحصل منه خيراً، والفساد لا تكتسب منه صلاحاً، كما أنَّ العنب ليس بخارج من الشوك. فإذا أوقعت شراً، أو ظلمت أحداً، فقد غرست شوكاً، ولا تحصده إلاّ شوكاً(*)

وما أحسن قول الشاعر صالح بن عبد القدوس، ناظماً هذا المثل بعينه:

إذا وترت امرءاً فأحذر عداوته من يزرع الشوك لا يحصد به عنباً

ويستخدم هذا المثل للدلالة على العلاقة بين نتائج الأعمال وأسبابها، ولمن يصنع المعروف في غير أهله، ويضرب بمن يحاول إصلاح شخص غير سوي لكن دون جدوى أو نفع في محاولاته كلها، وفي الحكمة: من يزرع خيراً يحصد غبطة، ومن يزرع الشر يحصد الندامة.

وأخيراً، الواجب علينا آباء وأمهات أن نستوصي بأبنائنا خيراً، وننشئهم على حُبِّ القرآن الكريم، وحب حفظه وتلاوته، فالخير كل الخير فيه، فاللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وحبِّب أبناءنا تلاوته وحفظه والتمسك به، واجعله نوراً على درب حياتهم، وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا الأكرم، وعلى آله وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

* بتصرف، زهر الأكم في الأمثال والحكم: 1 /127.

اقرأ وتذكر

أ. إيمان تايه / رئيس قسم النشر والتوزيع/ دار الإفتاء الفلسطينية

مفارقات عجيبة

• نادى نوح في الحيوانات مرة واحدة، فركبت السفينة، وقضى 950 سنة ينادي بشراً فاختاروا الغرق... غريزة سليمة أفضل من عقل مريض.

• ثبتت امرأة فرعون وهي في بيت أكبر طاغية، وانتكست امرأة نوح وهي في بيت أكبر داعية... الواقع ليس عذرًا.

• طلب إبراهيم، عليه السلام، ابنه للذبح، فامتثل، وطلب نوح، عليه السلام، ابنه للحياة فأبَى ... البعض بارٌّ حد الذهول ... والبعض عاق حد العجب.

ونعم بالله

* قد يسوق الله إليكَ قدرًا يُبكيك ساعةً؛ لئلا تبكي بعدها دهرًا.

* قد يسوق إليكَ تأخيرًا لِأمرِك سنةً؛ لئلا تتوقف بعدَهَا الخيرات عنك عُمرًا.

* قد يأخذ منك مقدار حبة مِن خردلٍ من رزقٍ؛ ليغمرك بمِداد البحر أجرًا.

* قد يتركك للأيام تأكل جدران قلبك يأسًا دون إجابة؛ لأنه يعلم مدى حلاوة الجبر بعد اليأس من النصر، فيكتب لك أجر الصبر، وحلاوة الجبر.

* قد يتركك تنادي طويلًا، ظانًا أن صوتك لا صدى لهُ عِندَه سبحانه؛ لِتُطيل النداء، فيزداد الدعاء، فيعظُم العطاء.

الافتقار إلى الله تعالى في الأحوال كلها

* ناداه نوحٌ بضعفه: {فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ}(القمر: 10)

* وناداه زكريا بكِبَر سِنِّه: {إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا}(مريم: 4)

* وناداه يونس بتقصيره: {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}(الأنبياء: 87)

* وناداه أيوبُ بمرضه: {أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} (الأنبياء: 83)

فاجمع ضعفَك وفقرَك وذنوبَك ومرضَك وحاجَتك، واطرحها على أعتابه سبحانه، وتذلل بها في جنابه، فالافتقار إليه، أوسع أبواب الدخول عليه.

طمأنات:

مثلما وقعَ البلاءُ فجأةً، سيُرفع فجأةً، ومثلما فقدت ما لم تتوقع فقدانه، سيأتيكَ ما لم تتوقع إتيانه!

مثلما حزنت حتى بكيت قهرًا، سترضى إلى أن تبكي فرحًا!

مثلما طال الحزن، سيطول الأمن!

مثلما انقبض قلبك خوفًا، سينقبض جبرًا!

كريمٌ عَدله سبحانه، جزاؤه مِن جِنس العمل، في (الكيفية) فقط، لكن يعظمه كثيرًا كثيرًا كثيرًا في (الكمية) ..

حكمة دالة

اختصرت الحكمة في أربعة أشياء:

- أطع الله على قدر حاجتكَ إليه
- واعصهِ على قدرِ طاقتك على عذابه
- واطلب الدنيا على قدر مُكثك فيها
- واطلب الآخرة على قدرِ بقائك فيها

هدوء القلب

قال لصاحبه: ما سر هدوء قلبك؟ قال: منذ عرفت الله ما أتاني خير إلا توضأت وصليت شكراً، وما أصابني ضر، إلا توضأت وطلبت صبراً، وما حارني أمر إلا توضأت واستخرت خيراً، وهكذا تتقلب حياتي بين شكر وصبر ودعاء.

كن مؤدباً في حزنك، حامداً في دمعتك، أنيقاً في ألمك، فالحزن كما الفرح هدية من رب العباد، سيمكث قليلاً، ويعود إلى ربه حاملاً معه تفاصيل صبرك.

تأمل!

تأمل قول الله: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ} (البقرة: 186)

هُنَا الأَمَانُ، فَلا تَجزَع

{أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}(البقرة: 186)

وَهُنَا الرَّجَاءُ، فَلا تَقنَطْ.

باقة من نشاطات
مكتب المفتي العام
ودوائر الإفتاء في محافظات الوطن

إعداد: أ. مصطفى أعرج / مدير عام مكتب المفتي العام

المفتي العام يشارك في فعاليات ملتقى خاص بذكرى النكبة

الجزائر: شارك سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك - في فعاليات ملتقى مركزي نخبوي إحياء لذكرى النكبة / 75، الذي عقد في الجزائر، بالتعاون بين سفارة دولة فلسطين فيها ووزارة المجاهدين الجزائرية.

وأشاد سماحته بما تقدمه الجزائر رئيساً وحكومة وشعباً لدعم الشعب الفلسطيني، مؤكداً على عمق العلاقات الوطيدة بين الشعبين الجزائري والفلسطيني، وأن الشعب الفلسطيني مصر على الدفاع عن أرضه ومقدساته مهما بلغت التضحيات، منتقداً الصمت الدولي إزاء المجازر والانتهاكات

التي تقوم بها سلطات الاحتلال وقطعان مستوطنيها ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك.

ونوه إلى مكانة القدس عند المسلمين، مذكراً برحلة الإسراء والمعراج، وأن المسجد الأقصى المبارك أحد المساجد الثلاث التي تشد الرحال إليها بعد المسجدين الحرام والنبوي، ودعا المسلمين إلى شد الرحال إليه، وإعماره والصلاة فيه.

من جانب آخر؛ ألقى سماحته درس الجمعة في مسجد البلقايدية الهبرية في الجزائر، بحضور وزير المجاهدين وذوي الحقوق "العيد ربيقة"، وسفير فلسطين لدى الجزائر الأخ "فايز أبو عيطة" دعا فيه إلى رص الصفوف لإفشال المؤامرات التي تستهدف استقرار الشعوب العربية وأمنها ووحدتها، مضيفاً أن الجزائر كانت وستبقى على الدوام صمام أمان الشعب الفلسطيني وشعوب المنطقة، وأكد على استمرار صمود الشعب الفلسطيني وإصراره على نيل الحرية والاستقلال.

وزار المتحف الجزائري، حيث أشاد بصمود الشعب الجزائري وتضحياته في وجه الاحتلال الفرنسي، وزار كذلك مقر وزارة المجاهدين وذوي الحقوق، واستمع إلى شرح تفصيلي عن عمل هذه الوزارة المهم، وتطلعاتها ورؤيتها المستقبلية، مثمناً للجزائر الشقيق هذا النجاح، ومتمنياً لأهلها والمسؤولين فيها التوفيق والنجاح الدائمين.

والتقى سماحته على هامش الملتقى شخصيات رسمية وشعبية، وأطلعهم على الممارسات والانتهاكات التي تقوم بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته، داعياً إلى ضرورة دعم الشعب الفلسطيني في المجالات جميعها.

المفتي العام يلتقي وزير الدولة للشؤون الخارجية القطري.

الدوحة: التقى سماحة الشيخ محمد حسين- المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، وخطيب المسجد الأقصى المبارك- سعادة السيد سلطان بن سعد المريخي/ وزير الدولة للشؤون الخارجية القطري، وأطلعه على آخر التطورات والانتهاكات التي تقوم بها سلطات الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته، داعياً إلى ضرورة وضع حد لانتهاكات هذه السلطات وممارساتها العدوانية التي تتعارض مع الشرائع السماوية والأعراف الدولية، كما أشاد سماحته بالعلاقات الوطيدة بين الشعبين الفلسطيني والقطري، وما تقدمه دولة قطر الشقيقة أميراً وحكومة وشعباً من دعم لصمود الشعب الفلسطيني بعامة، وأبناء مدينة القدس بخاصة، وكان سماحته قد تلقى دعوة من مركز الدوحة لحوار الأديـــان للمشاركة في المؤتمر الدولي تحت شعـار " من الحرية الدينية إلى المسؤولية الدينية: بـنـاء مجتمعات

التضامن والإنجاز"، بمشاركة عدد من العلماء والباحثين والناشطين في مجال حقوق الإنسان.

وقدم سماحته ورقة عمل بعنوان: "**القدس والمقدسات وحمايتها من التهويد**"، عـرّف المجتمعين خلالها بالقدس والمسجد الأقـصى المبارك، ومكانتهما عند المسلمين، وصور الانتهاكات التي تقوم بها سلطات الاحتلال ضد المسجد الأقصى المبارك والمدينة المقدسة؛ التي من أبرزها مصادرة الأراضي، والاعتقالات، والإبعاد عن المدينة المقدسة، وهدم البيوت فيها، وسحب الهوية، في محاولة لإفراغها من سكانها، واستباحة المسجد الأقصى المبارك، ومحاولات تغيير وضعه التاريخي، وطالب سماحته الأمة العربية والإسلامية بدعم صمود أبناء الشعب الفلسطيني، الذي يقف مرابطاً في الصف الأول عن الأمة بأكملها.

والتقى سماحته على هامش المؤتمر عدداً من الشخصيات الدينية والرسمية المشاركة فيه، حيث أطلعهم على صور الاستفزازات اليومية التي يقوم بها المستوطنون ضد المسجد الأقصى المبارك ورواده، مطالباً بضرورة التحرك لوضع حد لهذه الاعتداءات.

المفتي العام يشارك في مؤتمر القدس الشبابي

رام الله: تحت رعاية سيادة الرئيس الفلسطيني محمود عباس "أبو مازن" حفظه الله، شارك سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك، في مؤتمر القدس الشبابي، الذي عقده المجلس الأعلى للشباب والرياضة، بالتعاون مع منتدى التعاون الإسلامي للشباب في مقر الرئاسة، وقال سماحته في كلمة ألقاها: إن القدس تستحق الكثير منا، مبيناً أن فلسطين حلت عليها النكبة الأولى سنة 1948م، وأنها تعرضت لنكبة ثانية عام 1967م، حيث احتلت

القدس، والنكبة الثالثة هي النقطة السوداء في تاريخ الشعب الفلسطيني، والمتمثلة بالانقسام الذي يجب إنهاؤه، كي نتمكن من التعامل مع النكبتين الأولى والثانية، ولتعود القدس لمهد حضارتها وقدسيتها، وأكد سماحته أن أي بوصلة لا تتجه نحو القدس هي بوصلة مشبوهة، وهي بوصلة تآمر وتواطؤ، وهذا مرفوض دينياً ووطنياً وشرعياً، ودعا سماحته إلى ضرورة توحيد الجهود من أجل التصدي لمحاولات سلطات الاحتلال لتهويد القدس وتدنيس مقدساتها، وحضر المؤتمر العديد من الشخصيات الرسمية والشعبية الدينية والوطنية.

المفتي العام يشارك في ندوة سياسية عقدت في مقر معهد الأمن القومي

رام الله: شارك سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك، في ندوة سياسية نظمها معهد فلسطين لأبحاث الأمن القومي، ودائرة شؤون المغتربين في منظمة التحرير الفلسطينية، بعنوان: "القدس بعد 75 عاماً على النكبة، و56 عاماً على النكسة"، وقال سماحته: إن سلطات الاحتلال الإسرائيلي تسعى جاهدة إلى تغيير الطابع الديمغرافي والجغرافي في المدينة المقدسة عبر سلسلة من الإجراءات العنصرية بحقها، إذ إنها أصدرت عشرات قرارات

الهدم والمصادرة بحق ممتلكات الفلسطينيين المقدسيين، بالإضافة إلى سحب الهويات ومهاجمة الأماكن الدينية المقدسة بشكل يومي، مبيناً أن سلطات الاحتلال تسعى لتقليص التواجد الفلسطيني في القدس إلى نسبة: 12 -20 % من سكان المدينة المحتلة، حيث إن نسبة الفلسطينيين المقدسيين في الفترة الحالية هي: 38 - 40 % من سكان المدينة المقدسة، مشدداً على ضرورة الحفاظ على وجود الفلسطينيين المقدسيين في مدينتهم، مطالباً بضرورة دعمهم بشتى الطرق والوسائل، وذلك لمساعدتهم على الصمود والثبات أمام غطرسة الاحتلال وعنجهيته، وشارك في هذه الندوة العديد من الشخصيات الرسمية والشعبية والدينية والوطنية.

المفتي العام يترأس الجلستين السابعة عشرة والثامنة عشرة بعد المائتين

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ رئيس مجلس الإفتاء الأعلى، الجلستين السابعة عشرة والثامنة عشرة بعد المائتين لمجلس الإفتاء الأعلى، بحضور أصحاب الفضيلة المفتين، أعضاء المجلس من محافظات الوطن كافة، وقد ندد المجلس بما يسمى بمسيرة الأعلام، التي نظمتها الجمعيات

الاستيطانية المتطرفة بحماية من سلطات الاحتلال الإسرائيلي، التي تسمح لهم بالعربدة والزعرنة والاعتداء على السكان الفلسطينيين المقدسيين في محاولة منهم لترهيبهم، وإخافتهم، مؤكداً على أن الشعب الفلسطيني سيدافع عن أرضه ومقدساته مهما بلغت التضحيات، وحذر المجلس من خطورة ما يسمى بمشروع التسوية الإسرائيلي، الذي يهدف إلى تسجيل الأملاك والعقارات في القدس المحتلة، ومن ثم مصادرتها بحجة قانون أملاك الغائبين، الذي تهدف سلطات الاحتلال من ورائه إلى ضم المدينة المقدسة المحتلة، وتغيير طابعها القانوني.

من جانب آخر؛ أكد المجلس على الفتوى الصادرة عنه، بخصوص تحريم

المشاركة أو الترشح لانتخابات بلدية القدس المحتلة، معللاً ذلك بمخالفة واضحة وصريحة للشرع، والإجماع

الوطني الرافض لهذه المشاركة، كون البلدية الذراع الأولى لسلطات الاحتلال في تنفيذ المشاريع الاستيطانية والتهويدية في المدينة، وفي السياق ذاته؛ حذر المجلس من المخططات الإسرائيلية للتقسيم الزماني والمكاني للمسجد الأقصى، الذي تحاول سلطات الاحتلال بموجبه تخصيص منطقة المسجد القبلي للمسلمين، والمساحة التي تبدأ من صحن قبة الصخرة وحتى أقصى شمال ساحات المسجد الأقصى المبارك لليهود، وتشكل نحو 70 % من مساحته.

دار الإفتاء تكرم عدداً من الموظفين لإحالتهم إلى التقاعد

القدس: تحت رعاية سماحة الشيخ محمد أحمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك، أقامت دار الإفتاء الفلسطينية في مكاتب إدارتها العامة حفل تكريم ووداع لفضيلة الشيخ علي مصلح – مفتي محافظة قلقيلية- وفضيلة الشيخ باسم النعنع- مساعد مفتي محافظة نابلس – والسيد بلال الغول - مدير دائرة التخطيط - والسيد موفق مزيد - فني الصيانة في الإدارة العامة- لإحالتهم إلى التقاعد، وأثنى سماحته في كلمته على الزملاء المتقاعدين، مبيناً أنهم كانوا مثالاً للإخلاص والاجتهاد، شاكراً عطاءهم وانتماءهم وجهدهم خلال فترة خدمتهم التي تجاوزت العشرين عاماً، متمنياً لهم دوام الصحة والعافية .

وشكر الزملاء المتقاعدون سماحة المفتي العام وأسرة

دار الإفتاء على هذا التكريم، الذي يترك أثراً إيجابياً لديهم، متمنين للدار والعاملين فيها دوام التقدم والازدهار، وقدم سماحته درع دار الإفتاء الفلسطينية لكل متقاعد منهم.

مفتي محافظة بيت لحم يشارك في وقفة تضامنية مع الأسرى ونشاطات أخرى

بيت لحم: شارك فضيلة الشيخ عبد المجيد العمارنة – مفتي محافظة بيت لحم – في الوقفة الداعمة والمساندة للأسرى الذين يتعرضون للإهمال الطبي المبرمج، والهجمة الشرسة داخل سجون الاحتلال، وذلك أمام مقر هيئة الصليب الأحمر في بيت لحم، وألقى كلمة دعا فيها إلى ضرورة السعي لإطلاق سراح الأسرى جميعهم، وحضر فضيلته اجتماع الأئمة والخطباء الذي عقدته مديرية أوقاف مديرية بيت لحم لمناقشة موضوع إنارة المساجد بالطاقة الشمسية، وحضر حفل تكريم كوكبة من طلاب مدرسة النخبة في بيت لحم، والمشاركين في مسابقة القرآن الكريم، وشارك في الاجتماع التنفيذي للمحافظة، وشارك في فعاليات إيقاد شعلة العودة التي أقامها اللاجئون الفلسطينيون في مخيم الدهيشة، بعنوان: "75 عاماً على النكبة وخيمتنا تقاوم" واستقبل عدداً من طلاب كلية الإعلام في

جامعة فلسطين التقنية خضوري فرع العروب، وكلية الإعلام في جامعة بيت لحم، حيث أطلعهم على طبيعة عمل المفتي، وعلى بعض القرارات الشرعية، واستقبل وفداً من مسلمي جنوب إفريقيا، وألقى عليهم درساً دينياً في مسجد عمر بن الخطاب في بيت لحم، وكان فضيلته قد شارك في العديد من البرامج الدينية الإعلامية، تحدث فيها عن موضوعات مختلفة تهم المواطنين في حياتهم اليومية، وألقى العديد من الخطب والدروس الدينية عالج فيها العديد من الموضوعات، كما شارك في إصلاح ذات البين، وحل العديد من النزاعات والخلافات العائلية والعشائرية، بما يضمن الأمن والسلم المجتمعي.

مفتي محافظة نابلس يشارك في ندوات دينية عدة ونشاطات أخرى

نابلس: شارك فضيلة الشيخ الدكتور أحمد شوباش- مفتي محافظة نابلس- في العديد من الندوات الدينية، فشارك في ندوة بعنوان: "فلسطين في ظل واقع مضطرب" عقدتها جمعية بذور للتنمية والثقافة في حديقة مكتبة بلدية نابلس، وأخرى بعنوان: "أحكام المسجد الأقصى المبارك في الإسلام وفضل الرباط فيه" عقدت في مسجد عباد الرحمن، واستقبل مدير عام التوجيه السياسي والوطني في المحافظة، العميد محمد العابد، وبحث معه سبل التعاون المشترك، وتسلم درعاً من وفد جبهة التحرير الفلسطينية، تكريماً لفضيلته على مساهمته الوطنية، وكان فضيلته قد ألقى عدداً من الدروس وخطب الجمعة في مختلف مساجد المحافظة، بالإضافة إلى مشاركته في العديد من البرامج الإعلامية، تناول فيها موضوعات تهم

المواطنين في حياتهم، وشارك في حل العديد من الخلافات والنزاعات العائلية والعشائرية، بما يضمن السلم والأمن الأهليين.

مفتي محافظة جنين يشارك في إشهار كتاب

جنين: شارك فضيلة الشيخ محمد أبو الرب- مفتي محافظة جنين- في ندوة إشهار كتاب، أقامتها مديرية ثقافة جنين بمشاركة محافظ جنين اللواء أكرم الرجوب، وشارك في افتتاح مشروع إسكان أقامه مجلس قروي عربونة، وألقى فضيلته العديد من الخطب والدروس الدينية في مختلف مساجد المحافظة، وشارك في العديد من البرامج الإعلامية، تطرق خلالها إلى العديد من الموضوعات التي تهم المواطنين، وساهم في حل العديد من الخلافات والنزاعات العائلية والعشائرية لإصلاح ذات البين، حفاظاً على السلم والأمن المجتمعي.

مسابقة العدد 167

السؤال الأول: ما...؟

1. حال المسلمين لما نصرهم الله في بدر.
2. تفسير البخاري لـ (أمنيته) في قوله تعالى: {أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ}.
3. أكبر الكبائر الثلاث.
4. اسم المنظمة العالمية التي تعنى بالمحافظة على التراث.
5. صفات الذين لن يضروا أمة الإسلام القائمة بأمر الله.
6. اللقب الذي أطلق على أسماء بنت أبي بكر الصديق إثر أحداث الهجرة.
7. أفضل ما يواجه به التصحر الزاحف.
8. **معنى:**

أ. رجل مقارب.

ب. نهمته في حديث: (... فَإِذَا قَضَى نَهْمَتَهُ، فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ).

ت. إجمار الميت.

السؤال الثاني: من...؟

1. الذين تجب لهم النصيحة حسب ما جاء في الحديث الصحيح.
2. أول من هاجر إلى المدينة المنورة من مكة المكرمة.
3. الذي أمره الرسول، صلى الله عليه وسلم، أن يتعلم لغة اليهود.
4. الصحابي الذي كانت به بواسير، وشرع له أن يصلي قائماً، فإن لم يستطع فقاعداً.
5. **القائل:**

أ. أحب أن أتزين للمرأة، كما أحب أن تتزين لي.

ب. فلما كبرت وددت أني كنت قبلت رخصة النبي، صلى الله عليه وسلم.

ت. التوبة أول منازل السالكين، وأول مقام من مقامات الطالبين

ث. كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

ج. واكحل جفونك من ثرى أعتابه فيه الشفاء لكل طرف أرمد

ح. في ظلمة الليل إن وافيت ساحتها فكم ترى عندها من نائح باكي

السؤال الثالث: نعم أو لا...؟

1. ولي أسامة بن زيد قيادة جيش فيه خيرة الصحابة وهو دون العشرين سنة.
2. معنى الإبل المعقلة المتروكة بلا عقال.
3. يقول الإمام الواسطي: الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم.
4. يُروى لك الإنجاز إذ كللته إكليل إخلاص عليه ثناء

القائل يوسف شحادة.

5. كتاب أدب اللغة العربية للمستشرق بروكلمان.
6. إذا وترت امرءاً فاحذر عداوته من يزرع الشوك لا يحصد العنب

القائل زهدي حنتولي.

7. النبي المقصود في قوله تعالى:{أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} نوح، عليه السلام.
8. أقيمت فعاليات إيقاد شعلة العودة في مخيم عايدة عام 2023م بعنوان: 75 عاماً على النكبة وخيمتنا تقاوم.
9. عقدت ندوة: (فلسطين في ظل واقع مضطرب) في مكتبة بلدية نابلس.
10. العيد ربيقة وزير الخارجية الجزائري الحالي.

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

ملحوظتان :

- تُرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح .
- ترسل الإجابات إلى العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد **167**

مجلة الإسراء / الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام

دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 القدس الشريف

ص.ب : 1862 رام الله

جوائز المسابقة

قيمتها الكلية 1500 شيكل

موزعة على ستة فائزين

بالتساوي

إجابة مسابقة العدد 165

السؤال الأول: من ... ؟

1. ابن مسعود.
2. الذي يموت تحت الهدم.
3. الأشعريون.
4. الخوارزمي.
5. **القائل**:

أ. الرسول، صلى الله عليه وسلم.

ب. ابن عطاء الله السكندري.

ت. عثمان بن عفان.

ث. عائشة، رضي الله عنها.

ج. جميل العرباني.

ح. زهدي حنتولي.

السؤال الثاني: ما ... ؟

1. جبريل، عليه السلام.
2. سورة الفاتحة.
3. تكفي.
4. كالريح المرسلة.
5. عليه القضاء.

السؤال الثالث: كم ....؟

1. 7.
2. سبعين خريفاً.
3. خير من ألف شهر.
4. ولا دولة.
5. مرتين.
6. 9 شواقل.

السؤال الرابع: أين ... ؟

1. في بيت المقدس.
2. على الزوراء.

السؤال ا لخامس: متى ...؟

1. بعد الزوال.
2. سنة 13 هـ وفق 634 م.
3. 18 /10 /2016م.

الفائزون في مسابقة العدد 165

الاسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
محمد محمود ناصر	رام الله	250
خديجة "محمد حسن" اسليم	جنين	250
عمر رضا محمد القاسم	طولكرم	250
محمد موسى أبو عجمية	بيت لحم	250
تغريد يوسف عزام	غزة	250
محمود محمد لافي	غزة	250

ضوابط تنبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه إلى أصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم من خلال المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملحوظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية وغيرها، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عبر البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن (1500) كلمة، والبحث عن (3000) كلمة.
3. كتابة نصوص الآيات مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة، وأن تكون مشكَّلة، وصحيحة، ويلزم بيان رأي علماء الحديث في مدى صحتها إن لم تكن مروية في صحيحي البخاري ومسلم.
5. التوثيق عند الاقتباس سواء من الإنترنت أم الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية أو حواش سفلية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

مع التنبيه إلى ضرورة تجنب إرسال مقالات أو أبحاث سبق نشرها، سواء في مجلة الإسراء أو غيرها، إضافة إلى الامتناع عن إرسال مقالات منسوخة عن مجلات أو مواقع إلكترونية

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس: مجلة الإسراء / فاكس: 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس: 2348603 ص.ب 1862

E.mail : info@darifta.ps - israa@darifta.ps